تطـــور الرأســـمالية
وكفـاح الطبقـات فى مصـر

بقلم

الدكتور / فؤاد مرسى

.تعليق

داود عـزيـــــز

كتابات المصرى الجديد

المكتبة الاشتراكية (١)

د. فـؤاد مرسى

- ولـد بالإسكندرية عـام ١٩٢٥ .
- تخرج من حقوق جامعة الإسكندرية وعمل بالنيابة حتى أرسل فى بعثة دراسية إلى فرنسا حيث حصل على دكتوراه الدولة فى الإقتصاد السياسى .
- عاد من الخارج ليعمل أستاذاً للإقتصاد السياسى بحقوق الإسكندرية .
- أسس الحزب الشيوعى المصرى أواخر ١٩٤٩ إستناداً إلى عدد من الدراسات أهمها « تطور الرأسمالية ، كفاح الطبقات فى مصر » .
- تعرض للمحاكمة العسكرية والسجن من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ ثم الإعتقال فى سبتمبر ١٩٨١ .
- عين عضواً بمجلس الشعب ثم وزيراً للتموين عام ١٩٧٢ .
- له عدد كبير من الكتب والدراسات فى الإقتصاد والسياسة والتى تعالج مشاكل مصر والعالم العربى . كما شارك فى تأسيس حزب التجمع الوحدوى .
- تبنى الماركسية منهجاً للفكر والممارسة .
- توفى فى حادث سيارة (سبتمبر ١٩٩٠) .

الثمن ٤٠٠ قرش

تطـــور الرأســـمالية
وكفـاح الطبقـات فى مصـر

بقلم

الدكتور / فؤاد مرسى

.تعليق

داود عـزيـــــز

كتابات المصرى الجديد

المكتبـة الإشتراكية (١)

مقدمة الناشر

يمر التيار الإشتراكى العلمى المعاصر بأزمة خطيرة ، تتخذ مظاهر متعددة سياسية وإقتصادية .. الأمر الذى يدعو كل مفكر ينتسب إلى هذا التيار أن تكون له وقفة تأمل ودراسة وتحليل لمعرفة جذور هذه الأزمة والإجتهادات فى هذا الشأن عديدة غير إنه يجب أن نتبين أن بعض من يتناولون الأزمة الراهنة يعمدون إلى تناولها من زاوية العداء الأساسى للفكر الإشتراكى وهذا الفكر كان ولا يزال أمل الإنسانية جمعاء ، وخاصة تلك الرقعة الواسعة من العالم المتخلف الذى يسعى إلى أن يجد له مكاناً علي الأرض إن العالم المتخلف الذى يعى تماماً أن من حقائق الأوضاع ، ومن أسباب تخلفه وفقره ، هو أن القبضة الرأسمالية العالمية تتحكم وتحكم الحصار حول رقبته ولذا فإن بصيص الأمل لديه هو التعلق بفكرة الإشتراكية مهما تنكر لها كثيرون هذا وإذا كنا نرى فى الإجتهاد حول قضية الإشتراكية عاملاً من عوامل إنضاج الفكر والتجربة ، فإننا نرى أن مثل هذه الإجتهادات يستلزم معها الإعتماد على معيار علمى يستند إلى قوانين أساسية قامت وتقوم عليها النظرية الإشتراكية العلمية وقد حظيت فكرة الإشتراكية بجهد كثير من المفكرين الأصلاء والوطنين الصادقين وكان من بين هؤلاء المفكر المعروف المرحوم د .فؤاد مرسى. والذى قضى حياته وبذل علمه من أجل قضية الإشتراكية والثورة الوطنية والإجتماعية وكان من كتاباته المبكرة ومنذ أكثر من أربعين عاماً كتاب تطور الرأسمالية وكفاح الطبقات فى مصر والكتاب يعتبر علامة

بارزة فى تاريخ الفكر السياسى فى مصر . وقد عنيت بنشره كوثيقة تاريخيه لم نبدل فيها حرفاً وحتى السطور القليلة المفقودة أشرنا إليها وقد عنى بتحقيق النص والتعليق عليه بفكر متجدد ومواكب للظروف الحاضرة رفيق نضاله وأحد المؤسسين معه للحزب الشيوعى المصرى ١٩٥٠ وسكرتير دعاية الحزب ، فى ذلك الحين والمشرف على جريدته الإسبوعية راية الشعب داود عزيز

وما نرجـــوه هـــو أن تحظى هذه التجربة بإهتمام ذوى الفكر فى شتى المواقع وأن يكون فى النشر فائده لمستقبل مصر وشعبها ومساعدا على التخلص من قيود التخلف والتبعية من أجل حياة حرة ديمقراطية إشتراكية .

الناشـــر

سـعد حماد

القاهرة

تقديـــم

بإسم الرفيق خالد قدم الدكتور فؤاد مرسى كتابه هذا فى منتصف مايو ١٩٤٩ للماركسين فى مصر من أجل هدفين (١) تأسيس الحزب الشيوعى المصرى (٢) إنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية

هذا الكتاب من الكتب التى كان لها تأثيرها القوى الفعال فى تاريخ مصر السياسى

صدر أول ما صدر مطبوعاً على ألة الرونيو فى عدة نسخ تبلغ المئات فى ماير ١٩٤٩ تم أعيد طبعه مرة آخرى أيضاً كمطبوع سرى تتداولة الأيدى بعد أن إكتسب شهرة فائقة بين المناضلين ضد النظام الملكى فى مصر

فعلى الرغم من أنه طبع بوسائل بدائية إلا أن إنتشار أفـكاره فاق الوصف ، بل يمكن القول أنه قد أثر فى كافة الثوريين ، والمشتغلين بالسياسية فى هذه الفترة البعيدة من الحياة السياسية فى مصر

لقد صدر قبل ثورة ١٩٥٢ ولكن يمكن القول بإطمئنان إنه لا يوجد من لم تصله فكرة من أفكاره وهدف من الأهداف التى تضمنها

كان وقع الكتاب وتأثيره قد إمتد أول ما إمتد إلى أولئك الثوار من الماركسين الذين تبنوه بشكل كامل

وأدى ذلك إلى تأسيس الحزب الشيوعى المصرى أواخر ١٩٤٩

وقد ساهم هذا الحزب بدور هام فى الحياه السياسية منذ أن تأسس حتى دخل فى وحدة مع غيره من التنظيمات الشيوعية ، مع حدتو تحت إسم الحزب الشيوعى (الموحد) فى ١٩٥٧ ثم مع حزب العمال والفلاحين فى وحدة أكبر تحت إسم الحزب الشيوعى (المتحد) فى أوائل ١٩٥٨ ثم تمخض كل هذا عن إنقسامات ثم تم حل الحزب الشيوعى فى مصر ١٩٦٤ .

وقد أدى منهج الكتاب فى تناول تاريخ مصر ، والمهمات الكفاحية إلى تسليح كثير من المفكرين والمكافحين بمنهج ماركسى واضح يساعد على تناول كثير من القضايا التاريخية والكفاحية .

لقد إعتمد هذا المنهج على فكرتين رئيسيتين

اولاً: هى التطور وكيف أن الحركة والتحول هما العنصر الدائم فى أية قضية والثانية هى الصراع وكيف أن التغير يبدأ بعناصر تتجمع بشكل كمى حتى تتحول إلى ظاهرةتؤذن بالتحول الكيفى وأن عناصر الصراع بين القديم والجديد تتحدد لتنبىء بظاهرة جديدة ، وإتجاه جديد تتغير فيه المواقع وفق المصالح الطبقية فى كل مرحلة وكانت مهمة هذا الكتاب تتلخص فى التعريف بقضية الثورة فى مصر وأن الكفاح الثورى فى مصر لم يتولد وقت صدور هذا الكتاب وإنما هو كفاح طويل إستمر عبر فترات متتالية . بدأ بشكل متميز يوم أن عرفت مصر الفكر التنويرى البرجوازى مع ما جاءت به الحملة الفرنسية من أفكار تحويله تفاعلت مع واقع الحياه السياسية فى البلاد فبين كيف أن محمد على تابع هذا المسار ليرسى فى البلاد جذور التحول الرأسمالى وكيف سار التطور بعد ذلك على أيدى إسماعيل وعناصر الوعى الجديد المتمثله فى التجار والمثقفين الذين تطلعوا إلى تحديث البلاد وكيف أن عناصر السيطرة الأجنبية وإطماع الإستعمار قد أوقعت بالبلاد فى أسر الإحتمال والسيطرة الأجنبية مستعينين فى ذلك بقوى التخلف والرجعية فى الداخل .

ومن ثم تميز التطور السياسى والإقتصادى فى بلادنا بالرغبة والسعى من جانب القوى الوطنية إلى التخلص من الإستعمار وتحقيق الإستقلال الوطنى وظهر في مجرى الصراع أن الكفاح الوطنى يتفاعل مع الكفاح من أجل التقدم الديمقراطى وأن الأهداف الوطنية والديموقراطية تتداخل وتشكل فى آخر الأمر أهداف الثورة المقبلة وأن الكفاح الديمقراطى فى جوهره كان كفاحاً من أجل ثورة فلاحية ضد بقايا العلاقات الإقطاعية الإستبدادية .

وكان تحديد هذه الأهداف مسألة غاية فى الأهمية ويمثل تحقيقها إنجازاً لأهداف الثورة الوطنية الديمقراطية .

وكان لابد من تحديد القوى الإجتماعية والإقتصادية التى تقف مع الثورة وتلك التى تقف فى مواجهة هذه الأهداف الثورية وتتصدى فى شراسة للقوى الثورية من أجل هذه الأهداف ، تكفل الكتاب بتوضيح طبيعة هذه القوى فى كلا المعسكرين قوى الثورة وتتمثل فى العمال الفلاحين والمثقفين الثوريين ، وقوى أعداء الثورة وتتمثل من ناحية أخرى فى القوى الإستعمارية الأجنبية وبقايا الإقطاع المتحالف معها والعناصر الرأسمالية المتشابكة المصالح مع المستعمرين

وقد أكد البحث على أهمية تحديد برنامج للثورة يعبر عن أهداف ومصالح القوى الوطنية ، وتتولى تنفيذه السلطة الجديدة التى بشر بها البحث بدلاً من السلطة الرجعية الممثلة فى الإستعمار والنظام الملكى نظام كبار ملاك الأرض الإقطاعين ومعهم كبار الرأسماليين المتداخله مصالحهم مع الإستعمار الأجنبى

وكان لابد لكى تتحقق الثورة المتوقعة أن يدعو الكتاب إلى تنظيم طليعة قادرة على التعبير عن الطبقة العاملة بإعتبارها الطبقة الكفيلة بقيادة كافة الجماهير الوطنية وبإعتبارها الطبقة الأكثر ثورية والتى لها مصلحة فى إستمرار الثورة والإنتقال بها من مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية إلى الثورة الإشتراكية كان لابد من تنظيم هذه الطليعة فى شكل حزب شيوعى لمصر قادر على تنظيم نفسه ، وقادر على تنظيم الطبقة العاملة ، وقادر فى نفس الوقت على تنظيم الطبقات الوطنية الأخرى فى شكل جبهة واسعة قادره على تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية إعتماداً على نظرية واضحة فى الدعاية والإثارة وتنظيم وتعبئة الجماهير

وكان من النتائج الإيجابية المباشرة للكتاب أن تأسس فعلاً الحزب الشيوعى المصرى أواخر عام ١٩٤٩ . وأعتبر المؤلف سكرتيراً عاماً لهذا

الحزب وإشترك فى تأسيسه مجموعة من المناضلين الذين بذلوا جم التضحيات وبذلوا من الجهد الفكرى والكفاحى الشىء العظيم من أجل إرساء ودعم كيان هذا الحزب الوليد

وعلى الرغم من وعورة الطريق ومصاعب العمل السياسى فى ظل إرهاب طاغ فإن الحزب حقق نجاحاً كبيراً فى إكتساب الأنصار وفى خوض معارك سياسية متتالية رغم قسوة المطارده والقهر الإستبدادى .

وترجم الحزب خطته السياسية فى برنامج واضح المعالم يقابل مطالب الجماهير ويسعى إلى التعبير عنها ويخاطب كل الطبقات الثورية ويدافع عنها ضد المظالم وضد سلب الحريات كما عمل على إقامة أشكال لتنظيم الجماهير ، وسعى إلى إقامة تحالفات مع الربط بين الكفاح السرى والعلنى مع ما يكتنف ذلك من مصاعب كبيرة .ثم لم تلبث أن تغيرت أرضية العمل السياسى بعد فوز حزب الوفد فى أوائل عام ١٩٥٠ فى الإنتخابات التى أجريت حينئذ وألغيت الأحكام العرفية وأفرج عن المعتقلين السياسين وتحركت القضية الوطنية ودارت مفاوضات بين المستعمرين والحكومة الجديدة وفشلت المفاوضات وإشتعل الموقف ورفع الحزب الشيوعى شعار إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإستجابت له كل القوى الوطنية وبالفعل ألغت حكومة الوفد المعاهدة وفتحت بذلك الباب أمام شعار جديد رفعه الحزب من أجل خوض الكفاح المسلح ضد المستعمرين وبالفعل بدأت الجماهير حركتها العظيمة فى هذه الفترة ثم إنتقل الكفاح إلى مرحلة أعلى وإنسحب العمال من العمل فى معسكرات الإستعمار وتكونت حركة الفدائيين فى القنال حتى كان يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ حين إلتحم رجال البوليس العزل بقوات الإستعمار الغاشمة المسلحة فى الإسماعلية وكانت خيوط المؤامرة تنسج ، وتم لها فى صبيحة ٢٦ يناير ١٩٥٢ أن تكتمل فتوهجت أجواء القاهرة بالحريق المدبر وتوالت الأحداث للبطش بالحركة الوطنية وإعلان الأحكام العرفية مرة آخرى وفتح

أبواب المعتقلات والسجون من جديد للمكافحين وأطبقت يد الرجعية والملكية على أعناق الجماهير وتوالت الحكومات العاجزة وإنكشفت فضيحة النظام وتآمره وعجزه ، حتى كانت حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢

كان إستقرار حركة الجيش فى السلطة مسألة تحوطها عناصر عديدة منها شكل النظام الذى كان لابد أن يتبلور أهو جمهورى أم ملكى ، ولم تحسم تلك المسألة إلا بعد سنتين تقريباً طالب خلالها الحزب بإلحاح إعلان النظام الجمهورى

ثانياً: كانت الصراعات بين مجموعات الضباط الحاكمين قد أخذت أشكالاً بعضها خفى والآخر حاد تبلور فى حركة مارس ١٩٥٤ وحسم بإزاحة محمد نجيب من منصبه أواخر ١٩٥٤ وتولى عبد الناصر السيطرة الغالبة على مقاليد الحكم .

ثالثاً: بالرغم من تأييد الجماهير للتغيير وترحيبها ببوادر طيبة مثل الإصلاح الزراعى إلا أن الحكام الجدد واجهوا حركات العمال بقسوة وصلت إلى حد إعدام قادة العمال (خمس والبقرى) فى كفر الدوار لتخويف حركة العمال الناهضة فى كل مكان وكبتها

رابعاً: بالرغم من أن القضية الوطنية كانت فى مقدمة المسائل فأن الحكام دخلوا فى مفاوضات مع الإنجليز أدت إلى إتفاقية للجلاء معيبة فى بعض أجزائها . ولم تتحقق قضية الإستقلال بالفعل وبشكل حاسم إلا بعد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ وتصفية القاعدة فى القنال وإلغاء المعاهدة الثنائية الموقعة بين الطرفين وإنتهاج سياسة وطنية جديدة واضحة إعتماداً على حركة عدم الإنحياز وأزدهارها والإلتجاء إلى المعسكر الإشتراكى للتسلح ١٩٥٥ وبروز الأطماع الإسرائيلية فى المنطقة وتهديدها لإستقلالنا .

خامساً: الدخول فى مواجهة مع القوة الإستعمارية الجديدة ممثلة فى أمريكا ومقاومتها لإتجاهات التحرير لدى عبد الناصر بالذات وعرقلة مساعيه لمحاولات التنمية بالحصول على مساعدات أو قروض أو تسليح أو المساهمة فى مشروع السد العالى كمحاولة للتطوير الإقتصادى للبلاد مما أضطره إلى التنديد بهذه السياسة ورفض الضغوط المتوالية من جانب أمريكا لفرض سيطرتها عن طريق الأحلاف فى الشرق الأوسط وبتطبيق ما سموه سياسة ملء الفراغ أى أحلال قوى الإستعمار الأمريكى الجديد بدلاً من الإستعمار الإنجليزى الفرنسى المتداعى فى المنطقة بأكملها

سادساً: ظلت الحقبة الناصرية بأكملها تعتمد على جهاز الدولة وقوة العسكريين فى السير بالبلاد والتقليل من أهمية قوة الجماهير الشعبية وإمكانيات أن تحقق للبلاد إنجازاً حقيقياً متى حظيت بإستقلالية حركتها كما تم ممارسة إنتهاكات عديدة للحريات السياسية لهذه الجماهير (حرية الكلام النشر الإجتماع . التنظيم وإستخدام وسائل التعبير الجماهيرية المختلفة مثل إصدار الصحف أو الأحزاب والتظاهر السلمى ومقاومة أى محاولة للتعددية الحزبية) وظل فقدان الحريات طوال الفترة الناصرية نقيصه سياسية أساسية تعانى منها الحياة السياسية ، مما ساعد على الإيقاع بنظام الناصرية بأكمله فى مصيدة إستعمارية عالمية محبوكة فكانت هزيمة ١٩٦٧ الساحقة

ولكن مهما كانت الأخطأ الناصرية فإنها مثلت فى آخر الأمر مرحلة هامة من التطور على طريق التقدم فهى قد وجهت ضربات قاصمة للعلاقات الإقطاعية المتخلفة والتى كانت سائدة فى كافة المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، وعلى الأخص فى الريف . وهى من ناحية أخرى حاولت الإسراع بالتنمية الإقتصادية والتصنيع وإقامة علاقات إنتاجية أكثر تقدماً كما وجهت إلى القوى الإقتصادية العالمية ضربات متتالية فحررت البلاد من السيطرة الإستعمارية فى الداخل كما وقفت ضد المشروعات الإستعمارية وكشفت

المخططات الإمبريالية العالميةالساعية إلى إقامة الأحلاف والتواطؤ مع إسرائيل وتنفيذ المخططات الصهيونية . كما حركت قوى الجماهير العربية لتسير خطوات نحو التحرر العربى بإنعاش الشعور القومى ضد الأنظمة المتخلفة والمتحالفة مع القوى الإستعمارية العالمية

هذا العرض المجمل للحقبة الناصرية مسألة هامة لبيان أن هذه الظاهرة جديدة فى التاريخ المعاصر الأمر الذى عجز معه الحزب الشيوعى المصرى منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ حتى التحولات الواضحة فى السياسة الداخلية والخارجية عجز عن تقديم تحليل سليم للواقع

وحاول الحزب بعد ذلك تصحيح مفاهيمه والتراجع عن أخطائه ، ولكنه واجه فى ذات الوقت سياسة معاداة الشيوعية والتى كانت واحدة من السياسات الدائمة لعبد الناصر حتى وفاته والتى أضرته هو الأخر ضرراً بليغاً وأدت الأخطاء المتبادلة من جانب الحزب ومن جانب الحكام إلى ضحايا من بين المكافحين والوطنين والديموقراطيين الذين تعرضوا للسجون والمعتقلات والتعذيب المروع ، ومن ثم إنهارت هذه القوى الثورية لتتشتت فوق ما أصابها تاريخياً من مرض التشتت والإنقسام والتشرذم ، وأصيب المجتمع المصرى فى طاقاته الثورية الكفاحية أصابة سوف تعانى منها أجيال وأجيال

ويبقى القول إنه من الأمانة نشر هذا المرجع بعد أن تكاتفت عناصر عديدة على تعريضه للإندثار وها نحن نحاول نشره بإعتباره وثيقة ومرجعاً تاريخياً لجانب من الفكر الثورى الذى حرك فاعلية الكفاح المصرى القومى ، فى قوة وصلابة ، فترة من الزمن ، لعل ذلك يكون بقعة نور تضىء لإجيال قادمة ، رغم بعض الأخطاء التى حواها ورغم كل الأخطاء التالية وكم كان بعضها فادحاً .

د٠ ع

تطـور الرأسماليـة

وكفـاح الطبقات فـى مصـر

بقلـم

الدكتور فؤاد مرسى

(الرفيـق خـالد)

الاسكندريـة ١٩٤٩

تطور الراسمالية وكفاح الطبقات فى مصر

الجزء الاول

تمهيد :

سيطرت الإنتهازية على الحركات الماركسية فى مصر وقد افلحت فى ان تجعل التفكير التقدمى يسوده من الجهل والشعوذة المقصودة ما عبرت عنه الحركات التقدمية حتى اليوم من تردد وفشل وإنقسام . ومع أن جميع المسئولين كانوا يعلنون عن طواعية انه لا توجد حركة ثورية بغير نظرية ثورية ، وأن الماركسية هى النظرية الثورية الوحيدة ، فانهم لم يكونوا يحفظون من هذه النظرية سوى شعارات جامدة افرغوها من كل مضمون حى

وبقدر ما كان يزيد هذا الاضطراب فى فهم النظرية الماركسية ، بقدر ما كانت تزداد الحاجة الى تفسير صحيح للمجتمع المصرى ، نبدأ منه فهمنا للحركة الثورية العمالية فى مصر ، ولمهماتها السريعة المقبلة . وقد كتب لينين ..أن المعرفة الموضوعية لمجموع العلاقات بين جميع الطبقات فى المجتمع ، وبالتالى فان المعرفة الموضوعية لدرجة نمو هذا المجتمع وعلاقاته بالمجتمعات الاخرى يمكن ان تقوم اساساً سليماً لتاكتيك الطبقة المتقدمة

- ماركس ومذهبه ، باريس ٤٦ ص ٣٢ -

وفصل ذلك فى كتابه عن الدولة والثورة فذكر

إن من ألزم الأمور لدراسة العلوم الإجتماعية أن تراعى عند بحث أى مشكلة كيف بدأت الظاهرة التاريخية المعينة ، وأى الخطوات إجتازت خلال نموها ، وكيف أصبحت اليوم

- باريس ٤٦ ص ١١١

فالتطور هو جوهر كل ظاهرة ، وهو السبيل إلى معرفتها ، والظاهرة التى نحن بصددها هى المجتمع المصرى ووضعه الحاضر.

وقد كتب ستالين :

إن تاريخ نمو المجتمع هو تاريخ نمو الإنتاج فيه ، تاريخ طرق الإنتاج التى تعاقبت خلال القرون ، تاريخ نمو القوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج بين الناس وإن تاريخ النمو الإجتماعى هو فى ذات الوقت تاريخ المنتجين للسلع المادية ، تاريخ الجماهير العاملة التى تعتبر القوة الرئيسية فى منهج الإنتاج والتى تنتج السلع المادية اللازمة لوجود المجتمع

- المادية الجدلية باريس ٥٤٥ -

فما تاريخ المجتمعات المكتوب إلا تاريخ كفاح الطبقات ، ولقد كان ماركس أول من إكتشف القانون القائل

..بأن جميع حالات الكفاح التاريخية سواء كان ذلك فى الميدان السياسى أو الدينى أو الفلسفى أو أى ميدان فكرى آخر ، ما هى فى الواقع إلا التعبير عن كفاح الطبقات الإجتماعية

..ويقتضى هذا القانون ، فإن وجود هذه الطبقات وبالتالى فإن التصادم بينها محكوم بدرجة نمو ظروفها الإقتصادية أى بطريقة الإنتاج والتبادل فيها..

- إنجلز فى تقديم إنقلاب لويس بونابرت يوم ١٨ برومير لماركس باريس ٤٥ ، ص ٤

إننا نعيش فى مجتمع مستعمر لم يتخل بعد عن بقايا الإقطاع كما إننا نمثل الحركة الثورية التى ترى فى العمال طبقة المستقبل ، الطبقة الكفيلة

بالقضاء نهائياً على نظام الطبقات وعلى متناقضات الرأسمالية الآخرى . فإلى أى حد يمكن أن نحدد مستقبل هذه الحركة ؟

وبعبارة أخرى ، إن وجود النظام الرأسمالى يفترض وجود الطبقة العاملة كما أن القضاء عليه يتضمن القضاء على العمال كطبقة يستغلها غيرها من الطبقات فمتى وكيف ظهر هذا النظام الرأسمالى فى مصر ؟ وكيف نما وإستبد ؟ ، وماذا صار اليوم ؟ وأخيراً ، فما هى إمكانيات الطبقة العاملة للقيام بثورتها لتحرر نفسها والمجتمع معها

هذه مجموعة من الأسئلة يفترضها منهج البحث الماركسى - كما أن النظرية الماركسية اللينينية الستالينية هى وحدها الكفيلة بتقديم الحلول اللازمة لتوجيه كفاح الطبقات فى مصر فى مرحلته القاصرة الحالية إلى مرحلة أرقى يحتدم فيها التناقض بين الطبقات ، مرحلة تختار فيها الطبقة العاملة المصرية ميادين قتالها ونوع سلاحها وتحسن توجيه ضرباتها ضد الرجعية المتحالفة تلك هى مهمة الماركسيين فى مصر

* * *

اولاً

بداية إنهيار الإقطاع

يمتاز تاريخ التطور فى مصر منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم بإنه تطبق مباشر لقوانين المادية الجدلية وبخاصة قانون التغيرات الكيفية ، ويرجع هذا قبل كل شىء إلى أن أهم التغيرات التى تناولت طرق الإنتاج فى تلك المرحلة التاريخية قد وقعت فى أوربا وأمريكا وإنها إنتقلت إلى مصر بعد إستقرارها فى موطنها وإتخاذها شكلاً صالحاً للتطبيق فيكفى أن تقع فى أوربا ثورة فى طرق الإنتاج وإن تستغرق عدداً كبيراً من السنين لتطوير وتحسين ما جاءت به ، ثم يكفى أن تتنبه مصر إلى هذا التطور لتنقله إليها فجأة فى صورته الأخيرة فهى لتأخرها وحاجتها للتقدم تتمثل التغيير وتهضمه ، فتوفر الزمن وتجارى العالم فى أرقى خطواته

وما يجرى على هذا القانون يجرى على القوانين الأخرى التى سنرى فيما بعد تطبيقات عديدة لها ، غير انا نقصر الكلام على مبدأ التغير الكيفى ، ففيه تفسير واضح لإنهيار الإقطاع لدينا وبدء ظهور النظام الرأسمالى بدلاً منه، وإلى جانبه فى نفس الوقت

يقول ستالين :

لا تعتبر الجدلية مجرى النمو منهج تزايد حيث لا تفضى التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية ، ولكنه نمو يمر من تغيرات كمية تافهة ومستترة إلى تغيرات ظاهرة ورئيسية ، أى إلى تغيرات كيفية حيث لا تكون التغيرات تدريجية ولكن سريعة فجائية تتم فى قفزات من حالة إلى أخرى ، هذه التغيرات هى نتيجة تكاثر التغيرات الكمية الخفية والتدريجية

- المادية الجدلية ص ٦ -

وإنما يشير لينين إلى هذا القانون بالذات عندما ذكر أن بلاده عرفت فى وقت قصير ثروة من أشكال الكفاح ودقائقة وطرقة وإنها تمثلت بفهم ونجاح "..آخر كلمة للتجربة السياسية لأوربا وأمريكا

وفى الواقع لم يدب الإنهيار فى النظام الإقطاعى فى مصر إلا عندما أخذت الثورة الفرنسية البرجوازية على عاتقها مهمة تحرير الشعوب من الإقطاع ، ورجلها فى ذلك نابليون الذى عنى بإزالة النظم الإقطاعية حيثما وجدها ، وكان ذلك ضرورياً للمجتمع البرجوازى فى فرنسا ؛ ضرورياً لنموه وتقدمه، وضرورياً لبقائه وحمايته من أعدائه فى الداخل والخارج

ونابليون هو أول من حمل إلى مصر الأفكار والمبادىء البرجوازية ، وأول من كسر شوكة المماليك أمراء الإقطاع فى مصر

ومحمد على هو الذى تابع العمل وقام بمثل ما قام به ريشليو فى فرنسا وقد حقق الوحدة السياسية للبلاد بأن قضى على المماليك نهائياً ، وأقام حكومة مركزية متماسكة ووحد الجيش تحت قيادته كما ، وضع جذور الصناعة ووصل بين مصر وأوربا فجرت التجارة عبر البلاد

وأخيراً فهو أول من نظم ملكية الأرض الإقطاعية تنظيماً ساعد على زوالها نهائياً فى سنة ١٨٩٦ غير أن النظام البرجوازى لم يدخل بذلك فى مصر

ويقول ماركس وإنجلز

البرجوازية وليدة نمو طويل لمجموعة من الثورات فى طرق الإنتاج والمواصلات

- المنشور الشيوعى باريس ١٩٤٥ ١٢ -

وإذا كانت مصر قد عجزت فى ظروفها التاريخية المعينة عن تحقيق أى ثورة فى طرق الإنتاج والمواصلات ، فإنها بحكم التغير الكيفى قادرة على أن تتمثل بفهم ونجاح صورة لهذه الثورات فى أوربا وأمريكا

وهكذا تأبعت مصر صلاتها بهذا العالم ، ونقلت إليها المصانع والطرق الحديدية ، وفى ذات الوقت الأفكار التحريرية المكتسبة من تجربة نظام أرقى

وكانت المرحلة التالية أن تتعرف مصر على النظام الرأسمالى فى أرضها وتكفل بذلك إسماعيل الذى أراد أن يجعل من مصر قطعة من أوربا - أى قطعة من النظام الرأسمالى السائد عندئذ فى أوربا فشجع رأس المال الأوربى على أن يستثمر فى مصر وزاد النشاط الصناعى وبخاصة صناعتى النسيج والسكر ، وأهتم بتوزيع محصولات الزراعة ، وربط أوربا بمصر بآسيا عن طريق قناة السويس كما نشر التعليم فى مختلف الطوائف حتى لم يكن فى الجيش بأسره من الأميين سوى ٤٢ فرداً فى سنة ١٨٧٢

* * *

ثانياً

ثورة الفلاحين على الإقطاع سنة ١٨٨١

غير أن نمو النظام الرأسمالى فى إنجلترا وفرنسا ، وتعارض المصالح الإستعمارية بين البلدين ، أدى إلى إشتداد التنافس بينهما على إستعمار مصر .

وقد إتفقت إنجلترا مع فرنسا على أن أجدى وسيلة فى هذا السبيل هى وقف إنتقال مصر من الإقطاع إلى الرأسمالية ، هى أن تثبت لإسماعيل فشل التجربة الرأسمالية فى مصر بأن ترهق الدولتان كواهل الفلاحين لتحملهم على الثورة على إسماعيل ونظامه الجديد وهو النظام الرأسمالى وإنا لنلمس هنا المتناقضات الإقتصادية التى يحملها الإستعمار فى طياته للبلاد المستعمرة فلكى يحمى رؤوس أمواله فى مصر يلجأ إلى وقف كل تقدم فيها ، مع أن إستغلال رأسالمال فى هذه المرحلة يحمل معه التقدم كما إنه فى سبيل ذلك يلجأ إلى إستعباد الطبقات الفقيرة المعدمة ، فيزيد فيها روح السخط فالتمرد والثورة وهذا ما حدث فعلاً فى السنوات الأخيرة من حكم إسماعيل ، ولفهم هذا التطور يلزم أن نستعرض سريعاً حال الطبقات فى مصر

كانت هناك طبقة ملاك الأرض وعلى رأسها الخديوى حاكم البلاد المطلق ، وهى طبقة تتكون من الأتراك والمصريين ، وهم أعوان الحاكم ، وبيدهم السلطان الفعلى فى البلاد ، وتلك هى طبقة الإقطاعيين

وهناك طبقة " الأغنياء من التجار والمثقفين ورجال الدين بالمدن وتلك هى طبقة البرجوازيين ، وهذه الطبقة تمتاز بالنزعة الحرة والإتجاه إلى التجديد ، وأن لم تكن فى نضج الطبقات البرجوازية فى أوروبا ، إلا إنها كانت تجد النظام القائم متعارضاً مع مصالحها وأخذ يزداد هذا التعارض يوماً بعد يوم نتيجة إزدياد الضرائب على التجار ، وإقصاء التجار والأغنياء إقصاء للبرجوازية من مراكز الدولة وإعفاء ملاك الأراضى من كل ضريبة .

وهناك طبقة الفلاحين وهى الطبقة الغالبة فى البلاد وهى طبقة مستعبدة تدفع أغلب الضرائب ، ويتكون منها الجيش وتفرض عليها السخرة ، وتلزم بالعمل فى مصانع السكر وفى دوائر الأغنياء ، ويعاقبها القانون إذا هجرت الأرض والعمل فيها

سعى الإستعمار لحماية رؤوس أمواله بمختلف أنواع الظلم والبؤس التى حلت كلها بالفلاحين ونظراً لأن الإستعمار كان يخفى رأسه وراء الخديوى وحكومته ، فقد أدى ذلك إلى زيادة التعارض بين الفلاحين ورجال الإقطاع وبدأ كفاح الفلاحين فى صور متعددة منذ سنة ١٨٧٩ وإزدادت شدة ، وإتخذت شكل تقديم العرائض والإمتناع عن دفع الضرائب ، وهجرة الأرض والريف وكان كلما شكا الفلاحون كلما قامت العناصر البرجوازية تؤيدهم ، وتنتهز الفرصة فتقدم مطالبها الخاصة بها بوصفها مطالب الفلاحين والأمة

وبينما كان الفلاحون ينادون بتخفيض الضرائب وتنظيم جبايتها ، كانت العناصر البرجوازية تنادى بطرد الأجنبى ، وهذه هى فكرة (السوق الوطنى) وتأليف وزارة مسئولة وبرلمان شعبى منتخب وذلك وفق دستور يجعل للأمة حق إصدار القوانين والضرائب ومراقبة الميزانية ، وفى هذا تأييد لما قاله ليونتيف:-

..إستغلت البرجوازية الناشئة كفاح الفلاحين ضد ملاك الأرض للتعجيل بسقوط نظام الإقطاع

- الإقتصاد الساسى ١٩٣٥ ص ٤٥ -

وقد بلغ الكفاح أشده بإنتشار الحركة فى الجيش وهومكون من الفلاحين الذين إكتسبوا من الخدمة العسكرية الشجاعة و النظام وإتحاد الكلمة وكان الجيش فى البداية يناضل عن مصالحه الخاصة ، ثم إنتهى بأن تولى الدفاع عن مصالح الشعب ، ونجح الشعب ومعه الجيش فى فرض كلمته على الخديوى .

عندئذ تنبه الإستعمار للخطر الذى بدأ فى الأفق السياسى إذا نجح الشعب ومعه الجيش فقد كان هذا النجاح يعنى أن تقوم فى البلاد حكومة مسئولة أمام الأمة بجميع طبقاتها ، متمثلة فى برلمان منتخب يناقش الميزانية والضرائب وحقوق الأجانب أصحاب الديون ورؤوس الأموال

كان هذا النجاح يعزز قوة الفلاحين والبرجوازية الناشئة ، ويحقق للأمة مطلبها فى الدستور والحرية ، وفى الإستقلال ، وهكذا فالتطور السريع الذى قطعته الحركة الوطنية أصبح لا يهدد الإقطاع فحسب بل الإستعمار أيضاً وسرعان ما تم التحالف بين الإقطاع والإستعمار.

فلما أعلن توفيق بإيعاز من الدول رفض الدستور وإلغاء البرلمان ثار الجيش بقيادة عرابى فى سبتمبر ١٨٨١ ، وفرض على الخديوى جميع المطالب التى تقدمت بها العناصر البرجوازية الثورية

فثورة سبتمبر سنة ١٨٨١ هى ثورة الفلاحين على الإقطاع ، على ملاك الأرض ولقد إستغلها البرجوازية الناشئة لفرض نظامها الجديد والتعجيل بنهاية الإقطاع ولو إستمرت هذه الثورة لأدت بالبلاد إلى مرحلة برجوازية نشيطة حرة ، ولكنا اليوم فى وضع يختلف تماماً عن وضعنا الحالى

* * *

ثالثاً

الإنقلاب على الثورة سنة ١٨٨٢

إندفع الفلاحون فى ثورتهم على الإقطاع تؤيدهم العناصر البرجوازية وأدرك الخديوى إنه لم يعد قادراً بمفرده على كبح جماح هذه الحركة التى أخذت تسلبه كل يوم جزءاً من سلطاته فكانت أول خطوة قام بها ، أن جمع بين رجال الإقطاع ،و بين ملاك الأرض فى حزب ثم إتجه إلى الإستعمار فإرتمى فى أحضانه ، وكان الإستعمار بدوره يتلمس الأسباب ليتدخل ويحتل البلاد وإتفقت الكلمة على إحتلال مصر بواسطة الإستعمار إذا أصبح وجود الخديوى فى خطر فلما إجتمعت كلمة الأمة ، فلاحوها وجيشها ، كتابها ورجال دينها تجارها وأغنياؤها على عزل الخديوى ، أفلح الإستعمار الإنجليزى فى إستبعاد فرنسا وإحتلال مصر بمفرده فقضى بذلك على الثورة

والواقع إنه بعد أن نجحت الثورة فى تقرير حق الأمة فى حكم نفسها بنفسها ، شرع برلمان الثورة فى وضع قوانين لتعديل طرق الإنتخاب وإلغاء السخرة ، وإصلاح المحاكم المختلطة وإنشاء بنك زراعى أى أن الثورة أخذت تصفى الإقطاع أينما وجدته فلماذا حاولت أن تخلص الجيش من الإقطاع بطرد أعوان الخديوى منه ، وقف الخديوى منها موقف المعارضة معتمداً على تأييد الإستعمار له ورأت وزارة البارودى أن الخديوى بذلك قد سلك مسلكاً يشوه إستقلال مصر بدون إستشارة وزرائه

وطلبت رأى البرلمان طمعاً فى أن يصدر قراره بعزل الخديوى وإجتمع الأعيان يؤيدون الوزارة ، وثارت طوائف الشعب ولم يبق شك فى أن الثورة سوف تقضى على الإقطاع ومعه الخديوى عندئذ إنضم رئيس البرلمان إلى العدو ، وتدخل الإستعمار سافراً فإستقالت الوزارة وتحت ضغط الشعب الثائر أعاد الخديوى الوزارة المستقيلة غير أن أهل القاهرة ما كادوا يعلمون بأن الخديوى وإنجلترا وفرنسا على إتفاق لطلب تدخل السلطان لحسم النزاع بين

الأمة والخديوى ، حتى ثارت ثائرتهم ، وجاهر عرابى بأنه لن يذعن للسلطان وإلتف الأعيان والعلماء حول الوزارة ، وطلبوا جهاراً خلع توفيق ، وأصدر شيخ الأزهر فتوى وافق عليها رجاله بأن الخديوى لم يعد أهلاً للحكم وخطب الخطباء فى الأسكندرية فى جموع تزيد على عشرة آلاف يطلبون عزل الخديوى ويستنكرون تدخل الدول الإستعمارية وسرعان ما تدخل الإستعمار بالقوة المسلحة فضرب الإسكندرية بقنابل الأسطول البريطانى

عندئذ هرب الخديوى إلى الإنجليز فتكون مجلس وطنى ثورى للإدارة والدفاع عن البلاد وأعلن عزل الخديوى ، ولكن جاء العزل متأخراً ، وبعد أن إستطاع الإقطاع أن يستند إلى قوة الإستعمار المسلح ، وكان ذلك من أسباب فشل الثورة

غير أن الأسباب التى أفضت فى النهاية إلى الفشل هى كما نرى متعددة متشابكة فهناك أولاً تحالف الإقطاع مع الإستعمار ، ولولا هذا التحالف لنجحت الثورة ، وهناك ثانياً ضعف قيادة الفلاحين للثورة ، فسادت فيها رغم وجود الجيش أعمال الفوضى والإنحلال ، وأخيراً تصادف تردد البرجوازية فى قيادة الموقف ، وهذا ناشئ عن ضعفها كطبقة لا تزال فى مرحلة الطفولة وإنقسامها فى زمن الثورة إلى جناحين متعارضين

اليمين برئاسة شريف وينادى بالإعتدال ، واليسار برئاسة البارودى وينادى بالسير بالثورة إلى النهاية .

لم تقف الرجعية عند حد القضاء على الثورة ، بل أن سيطرة الإستعمار على البلاد جعلت المقام الأول لرجال الإقطاع ، وأصبح تاريخ الإستعمار البريطانى فى مصر ، هو تاريخ إنتصار الإتجاهات الإقطاعية وتعطيل حركات التجديد ، تاريخ الإعتماد الكلى على الزراعة وقتل الصناعة ، تاريخ تأييد الحكام ضد الشعب ، لهذا ألغى الإستعمار الدستور والبرلمان ووضع مالية البلاد تحت سيطرته ، وشجع الملكيات الكبيرة ووفر لها الفلاحين وأعاد الفكرة

الإقطاعية فى التجنيد ، فأصبح إختيارياً لمن يدفع البدل ، وأكثر من الضرائب على الإستهلاك كما وضع الإقتصاد المصرى الزراعى فى خدمة إقتصاد بريطانيا الصناعى ، وفتح السوق المصرى لصناعة بريطانيا ، وجعل مصرف القطن الوحيد فى بريطانيا ، والجملة فقد جعل مصر مزرعة بريطانية عليها أن تضمن فوائد الديون وأصلها وأن تدفعها بالتدرج لأصحابها المستعمرين

كان من شأن هذا أن إستاءت العناصر البرجوازية فى مصر تلك العناصر التى كانت تتسرب إلى السوق محتمية برأس المال الأجنبى ، فإن من جدلية التاريخ أن يشجع الإستعمار الرأسمالى الأجنبى دون المصرى فلا يلبث المصريون أن يجمعوا فى أيديهم جزءاً من رأسمال الأجانب وتجارتهم ، وإنصب غضب البرجوازية فى هذه المرة على الإستعمار محتكر السوق ، نصير الإقطاع، وعبرت حركة مصطفى كامل من هذا التذمر غير إنها كانت حركة قصيرة العمر سرعان ما قضى عليها تحالف جديد بين الإستعمار والإقطاع

وواضح أن خضوع مصر لنوع جديد من العبودية الإقتصادية ، هو الإستعمار قد أدخل عنصراً جديداً فى ميزان القوى التى تتطاحن فى المجتمع ، وهو عنصر أدى بغير شك إلى تعقيد أشكال الكفاح فى مصر ، وأخيراً فهو عامل جديد فرض سيطرته على جميع الطبقات فى المجتمع حتى طبقة ملاك الأرض فإنها لم تخلص من جبروته ، بل قد تنازعا السلطان والإستبداد

* * *

رابعاً

ثورة البرجوازية المصرية سنة ١٩١٩

على الرغم من جهود الإستعمار والرجعية ، قضى التطور التاريخى أن يفقد الإقطاع قوته ، بإستمرار ، وإضطرت الحكومة أن تلغى أهم نظامين فى الإقطاع هما نظام الطوائف وملكية الأرض ، فتقررت بذلك حرية العمل وحرية التملك .

وفى هذه الأثناء كان يتخلل البرجوازية نشاط كبير ، إمتد من السوق إلى الفكر إلى الدين إلى السياسة وأخذت البرجوازية تردد عن وعى صحيح تلك المبادىء التى قامت عليها فى أوربا ، وهى مبادىء الطبيعة والعقل والمساواة ولا شك إنه إذا كان مصطفى كامل يتمسك بفكرة الطبيعة فإن محمد عبده يمجد العقل ، وسعد زغلول ينادى بالمساواة

وأخيراً فإن الطبقة البروليتارية كانت قد ظهرت فى أفق المجتمع المصرى منذ أواخر القرن التاسع عشر ولكنها ظلت ضعيفة لم تسعفها الظروف بإدراك وعيها الطبقى

على هذا النحو سارت الأمور حتى إنتهت الحرب العالمية الأولى ، وعندئذ نهضت البرجوازية المصرية تنازع الإستعمار سيادته وتطالب بحرية البلاد .

قال ستالين :

تتولى البرجوازية أهم دور فى مرحلة التحرير الوطنى فالسوق هى المسألة الأساسية بالنسبة للبرجوازية الناشئة ، ومن هنا كانت رغبتها فى ضمان سوقها الوطنى السوق هو أول مدرسة تتعلم فيها البرجوازية معنى الوطنية

- الماركسية والمسألة الوطنية باريس ١٩٤٦ ص ١٦

وما كادت البرجوازية المصرية تبدى هذه الرغبة بوضوح حتى توالت عليها الضربات من الإستعمار فإستعدت عليه الشعب وقادته ضده فى سنة ١٩١٩ ، فى ثورة وطنية جامعة

يقول ستالين سنة ١٩١٣

نظراً للضغط عليها من كل النواحى ، تأخذ البرجوازية فى العمل فتحتكم إلى الطبقات الدنيا من شعبها وتبدأ ترفع صوتها بكلمة " الوطن " جاعلة من قضيتها قضية الشعب جميعه فى تجنيد لنفسها جيشاً من مواطنيها لمصلحة " الوطن " وهذه " الطبقات الدنيا لا تستطيع أن تغفل دائماً هذه النداءات ، بل تتجمع حول علم البرجوازية فيشملها الإضطهاد بدورها ويثير سخطها وهكذا تبدأ الحركة الوطنية

- المرجع السابق ص ١٧

ونلخص فيما يلى إتجاهات الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ :

اولاً:

كانت الطبقة البرجوازية المصرية فى سنة ١٩١٩ طبقة وطنية ، بمعنى إنها فى كفاحها للسيطرة قد سعت للإستقلال بسوقها المحلى فثورتها هى ثورة تحريرية وطنية ضد الإستعمار

يقول ستالين سنة ١٩١٣

" إضطرم الكفاح فى المستعمرات لا بين الأمم فى مجموعها ولكن بين الطبقات الغالبة فى البلاد السيدة والأمم المستعبدة

- المرجع السابق ص ١٦

ثانياً:

ثورة البرجوازية المصرية فى سنة ١٩١٩ هى ثورة صريحة على الإستعمار أكملت بها البرجوازية نموها الطبقى ، ووصلت بعدها إلى الحكم فى البلاد بدلاً من الإقطاع وإلى جانبه صحيح أن الثورة لم توجه فى الأصل ضد الإقطاع وإنما كان الإقطاع فى مرحلة إنهيار فعلى منذ عهد طويل فإكتفت البرجوازية بتوجيه ضربتها ضد الإستعمار ومن ورائه الإقطاع

إن الكفاح فى المستعمرات يلبس صوراً مختلفة ، غير إنها فى الواقع تظل تعبيراً صحيحاً عن كفاح الطبقات فى المجتمع ، فقد كان الإستعمار يؤيد بقايا الإقطاع فى مصر ليوقف تقدمها ، وكان الإستعمار يحالف الإقطاع ليأمن جانبه ويدفع عن نفسه ثورة الشعب وعندما إضطرت البرجوازية أن تثور كانت تناضل ضد عدوين طاغيين وهما الإقطاع المصرى والبرجوازية البريطانية لهذا فإن الهزيمة التى حلت بالإستعمار هى فى ذات الوقت هزيمة للإقطاع ولهذا أيضاً تعتبر ثورة ١٩١٩ ثورة برجوازية دمقراطية

كتب ستالين :

أن كفاح التجار والمثقفين المصريين فى سبيل إستقلال مصر هو كفاح ثورى موضوعياً على الرغم من أصل زعماء الحركة البرجوازى وحالتهم البرجوازية

- المبادىء اللينينة ص ٥٨ -

ثالثاً:

وهى ثورة جندت صفوف الأمة وراء البرجوازية ، وبينما كان حزب الوفد يمثل طبقة البرجوازية الصغيرة والكبيرة ، فإنه تزعم الأمة فى ذلك الحين حتى تلك الطبقة الناشئة وليدة التطور الرأسمالى ، وهى طبقة العمال .

كتب إنجلز

بجانب التعارض بين الإقطاع والبرجوازية ، يوجد التعارض العالمى بين المستغلين ومن يستغلون ، بين الأغنياء الكسالى والفقراء العاملين ، وهذا التعارض الأخير هو الذى يسمح لمثلى البرجوازية أن يقوموا كممثلين لكل الإنسانية المعذبة ، لا كطبقة منفصلة

- الإشتراكية الخيالية والعلمية ، باريس ١٩٤٥ ص ٤ -

ومن هنا نفهم لماذا إدعى الوفد منذ سنة ١٩١٩ تمثيله لكل الأمة ولماذا رفض التسليم بالأحزاب الخارجة عليه ، ونفهم أيضاً كيف خرجت عليه هذه الأحزاب إنه لم يعد يمثل سوى طبقته الخاصة أوجزء منها ، فإنه لم تكد تنتهى الثورة حتى أخذت العناصر المتباينة تنسحب من الوفد ، وتؤلف أحزابها الخاصة بطبقاتها

قال إنجلز

مصير جميع الثورات إن إتحاد مختلف الطبقات الذى يعتبر إلى حد ما شرطاً ضرورياً لهذه الثورات إلا يدوم هذا الإتحاد طويلاً ، فما يكاد النصر يتحقق على العدو حتى ينقسم المنتصرون إلى معسكرات متعارضة ويديرون أسلحتهم بعضهم ضد بعض

- الثورة وضدها فى ألمانيا باريس ١٩٣٥ ص ٤٩ -

* * *

خامساً

فشل الثورة البرجوازية الديمقراطية التحريرية

الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ هى بحكم طبيعتها ثورة برجوازية دمقراطية تحريرية غير إنها لم تنجح تماماً فى تحقيق غايتها ، ولا زلنا بعد ثلاثين عاماً منها يتنازعنا الإستعمار البريطانى والإقطاع المصرى يتنازعنا الإستبداد من جانب والإستعباد من جانب آخر فإذا حكمنا على الثورة بنتائجها وجب علينا القول بإنها فشلت فى مهمتها الديمقراطية التحريرية.

غير أن هذا الفشل غير كلى كلما أن نجاحها كان جزئياً ، ودراسة هذا التطور هى دراسة تاريخ الطبقات فى مصر فى العشرين سنة بين خاتمة الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩

والحقيقة هى أن تكون الطبقات كان معقداً فى مصر عنه فى البلاد الأخرى التى إستطاعت أن تحقق ثورتها البرجوازية لقد كانت لا تزال هناك طبقة إقطاعية قوية تملك أغلب الأرض ، وعلى الرغم من تقرير حرية التملك هذا فضلاً من أن الأرض ظلت فى مصر أغلب الثروة ، وإستطاعت بعض العناصر الإقطاعية أن تحتفظ بالسوق فى قبضتها عن طريق إشتغالها بالتجارة، ولذلك فإن كبار ملاك الأرض أول من عادى الثورة البرجوازية ولجأ إلى التفاهم مع الإستعمار لا على أساس التحالف القديم ولكن على أسس جديدة لا تصطدم ورغبات البرجوازية الناشئة وكانت البرجوازية المصرية بعيدة عن أن تكون فى مثل ثورة أو إتحاد البرجوازيات فى فرنسا وإنجلترا ، فقد ظل أغلب رأس المال والتجارة الخارجية بيد الرأسماليين الأجانب والإستعمار فلما إستطاعت البرجوازية أن تفوز بعد سنة ١٩١٩ بالدستور والبرلمان وبحرية إستثمار رؤوس أموالها فى السوق الوطنى ، لم تستطع فيما بعد أن تحتفظ بهذا الإنتصار طويلاً إذ لم تلبث أن تخلت عنها العناصر البرجوازية المتقدمة التى رأت فى تعدد ثورات الشعب ضد الإستعمار خطراً محتملاً ضد وجودها

هى الأخرى وإتفقت أغراض هذه الرأسمالية وأغراض الإقطاع فتألفت منها أحزاب جديدة ترمى إلى مقاومة ثورية الشعب ، إلى مقاومة الحركة الديمقراطية المطالبة بالدستور والبرلمان والحريات السياسية للشعب المصرى

والسرفى هذا التطور ، السر فى خوف العناصر الرأسمالية الواعية ، بل وفى خوف البرجوازية نفسها التى ظلت تناضل ضد الإستعمار والإستبداد هو ظهور عنصر جديد فى ميزان القوى الإجتماعية ، هو ظهور العمال كطبقة فى مصر وإستيلاؤهم على الحكم فى روسيا ، فقد علمنا أن البروليتاريا المصرية إشتركت فى الثورة البرجوازية تحت راية البرجوازية وتحت قيادتها وذلك لإنها لم تكن قد بلغت وعياً طبقياً كافياً يسمح لها بمناضلة الإستعمار تحت رايتها الخاصة ، وكانت هذه البروليتاريا قد جربت وحدتها فى إضرابات كثيرة قامت بها فى السنوات العشر الأولى من هذا القرن وإستطاعت أن تزيد منها وتحسن أحوالها خلال الحرب العالمية الأولى وبعد أن إنتهت الثورة تفتحت عيناها على الحريات السياسية التى بدأت فى المجتمع البرجوازى الجديد، كما تحددت أهدافها بما حدث فى روسيا من ثورة العمال ، وتكوينهم المجتمع الجديد ، مجتمع العمال الإشتراكى

تلك هى الظروف التى دعت البرجوازية أن تهادن فى كفاحها ضد الإستعمار والإقطاع وأن تترك ثورتها فى منتصف الطريق قاصرة ناقصة وقد أفضى هذا إلى إنه لم يعد يكافح الإستعمار والإستبداد سوى الوفد ممثلاً بعض البرجوازية ، و البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة ، وإستمر الحال كذلك حتى ظهر خطر الفاشيه فى الميدان الدولى يهدد الإستعمار البريطانى فى مصر فأيقنت البرجوازية المصرية إن هذا الخطر الجديد يهدد وجودها أيضاً فتحالفت فى سنة ١٩٣٦ مع بريطانيا ، وعهد إلى الوفد بتقديم ذلك التحالف إلى الأمة بوصفه آخر خطوة فى سبيل التحرر الوطنى

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل رأى الإستعمار الخطر الذى يهدده من إنتشار الديمقراطية البرجوازية ، فشجع بقايا الإقطاع على الإستبداد بالسلطة وتعطيل الحريات والدستور والبرلمان ، ولهذا فإن تاريخ الحرية البرجوازية فى مصر هو تاريخ مهزلة الحياة النيابية ، ولو كانت الحياة النيابية إستقرت منذ سنة ١٩٢٣ لكنا نشهد اليوم تطوراً غنياً بالتعاليم وإتخذت حالات الكفاح الطبقى مظهراً أكثر عنفا ووضوحاً من مظهرها الحالى المعقد

ففشل البرجوازية المصرية فى تحقيق ثورتها الديمقراطية التحريرية فشل بعضه مفروض عليها بحكم ضعفها وقوة الإستعمار والإقطاع ،وبعضه إرداته هى بحكم ضعفها أيضاً وخشيتها أن يفلت زمام الأمور من يدها إلى الشعب ، وبخاصة إلى هذه الطبقة العاملة التى بدأت تعى وجودها وتدرك وظيفتها السياسية والإجتماعية لقد فشلت الثورة البرجوازية وتحولت سريعاً من الدفاع عن التقدم إلى تأييد الرجعية نتيجة الخوف من الطبقة العاملة الناشئة وإنعدام التعاون بين العمال والفلاحين فى الكفاح الثورى فضلاً من تردد البرجوازية فى القضاء على الملكيات الزراعية الكبيرة ، والسبب فى هذا أن البرجوازية التى ثارت كانت أغلبيتها الساحقة من البرجوازية الصغيرة أى قليلة النفوذ الإقتصادى ، ضعيفة إزاء جميع القوى ، وقد سلبتها البرجوازية كل شىء وإستعبدت الشعب بوسائل الدولة فى البطش من البوليس إلى الجيش ووقفت جبهة أعداء الشعب متراصة تضم الإستعمار الأجنبى والرجعية المحلية ، وهى تضم كبار الملاك الإقطاعيين وكبار الرأسماليين الإحتكاريين

سادساً

تفاقم كفاح الطبقات منذ الحرب العالمية الثانية :

فلما قامت الحرب العالمية الثانية وضعت مصر فى خدمة الإستعمار البريطانى الذى كان عندئذ يدافع عن وجوده ضد الإستعمارية الفاشية العسكرية ، ولم تلبث بريطانيا أن أدركت فداحة العبء الواقع من الشعب المصرى نتيجة للحرب ، والخطر الذى يتهددها من " عطف الشعب على الفاشية

الإستعمارية العسكرية نتيجة لدعايتها التضليلية وتأييد الإقطاع المغامر للفاشية فإستدعى الإنجليز الوفد إلى الحكم ليذلل معارضة الشعب ويقضى على مقاومته إذا لزم الأمر ، وهكذا ضربوا بالوفد بقايا الإقطاع حليف الفاشية، كما تركوا الإقطاع يضرب الوفد فى سنة ١٩٤٤ ، بعد ما قضوا منه حاجتهم ، ومع ذلك فقد ظلت البرجوازية المصرية تؤيد بريطانيا كل التأييد فى حربها ضد الفاشية بعد أن لمست عن قرب جسامة خطر الفاشية ، على إنه لم تكد تنتهى الحرب حتى إتخذ كفاح الطبقات فى مصر خطاً نامياً كان نتيجة للعوامل الآتية

اولاً:

نشطت الصناعة نشاطاً كبيراً لم يسبق لمصر أن عرفته ، وإزدادت رؤوس الأموال المستثمرة فى السوق ، وتركزت كثير من الصناعات . فقضى ذلك كله بزيادة عدد العمال وتجمعهم ، وإنتقال كثير من الفلاحين إلى المدن للعمل بها

ثانياً:

إزدادت إمكانيات البرجوازية فى الإستغلال ، فبدأ التفاوت الشديد بين الدخول وإتخذت البرجوازية الصغيرة كياناً مستقلاً يمتاز بثبات دخلها وتردية فى الإنخفاض . بينما تركزت ثروات البرجوازية الكبيرة وتزايدت دخولها

ثالثاً:

إزدادَ التفاوت بين مستوى الأسعار وبين أجور العمال فقد إرتفعت الأسعار فى المتوسط إلى أربعة أمثالها قبل الحرب بينما لم ترتفع الأجور فى المتوسط إلا قليلاً عن مستواها قبل الحرب . ومعنى هذا أن مشكلة المعيشة أصبحت أعقد من ذى قبل ، وأن جماعات كبيرة من الشعب أصبحت مهددة بخطر الموت جوعا ، أو تدخل فى عداد البروليتاريا .

قال ماركس :

" ليس الإتجاه العام لإنتاج الرأسمالى أن يرفع الأجر المتوسط وإنما أن يخفضه .. "

- الأجور والإثمان والأرباح باريس ١٩٤٥ ص ٢٧ -

رابعاً:

نشطت الحركة العمالية فى مقاومة رأس المال ، وقد كثر عدد الإضرابات فى خلال الحرب عن أى مدة قبلها ، وإستطاع العمال أن يفرضوا بعض مطالبهم على أصحاب العمل وذلك بالتهديد بوقف العمل أو بالإضراب بالفعل

خامساً:

تحت هذا الضغط تدخلت البرجوازية وأصدرت تشريعات العمال التى قصدت بها في الواقع تنظيم قبضتها على العمال وعلى حركاتهم وكشف كفاحهم النقابى والإقتصادى تحت عين البوليس والدولة .

سادساً:

إنتشرت الأفكار الحرة نتيجة لإشتداد الحركة العمالية ولإتصال الشعب بمختلف جنود الحلفاء وللدور التاريخى الذى تولاه الإتحاد السوفيتى فى تدمير الفاشية وتحرير الشعوب وهذا يفسر لنا سيطرة النظرية الماركسية اللينينية الستالينية على الفكر الإشتراكى فى مصر منذ أوائل أيامه

وهكذا تبلورت فى المجتمع المصرى طبقتان واضحتا المعالم إحداهما رجعية شديدة النمو والوعى ، وتلك هى الطبقة الرأسمالية وأخرى تقدمية نشيطة ثورية وهذه الطبقة العاملة ، وقد كان نمو الطبقة الرأسمالية سريعاً بحيث جمعت كثيراً من الثروة وبلغت حد الإحتكار وظنت أن السوق المصرى لم يعد يكفيها ، وأخذت تعنى بعلاقاتها الخارجية ، فوجهت الزائد من أموالها نحو إنجلترا فى إنتظار إستثماره فيما بعد فى البلاد المتأخرة .

قال لينين :

" طالما ظلت الرأسمالية هى الرأسمالية فإن زائد الأموال يخصص لالرفع مستوى معيشة الجماهير فى البلد المعين لأن ذلك يؤدى إلى خفض الأرباح الرأسمالية ، وإنما يخصص لزيادة هذه الأرباح بإستثمار الأموال فى الخارج فى بلاد متأخرة

- الإستعمار باريس ١٩٤٥ ص ٥٧ -

وكان نمو الطبقة العاملة سريعاً أيضاً فتجمعت فى نقابات أخذت تنظم المقاومة ضد رأس المال ، ونجحت فى إختيار ممثليها فى مؤتمر النقابات العالمى حيث كشفت العناصر الإنتهازية المصرية وإزدادت قوة العمال الثوريين ، وقد أدى هذا النمو إلى أن وقفت الطبقتان وجهاً لوجه غير أن ساعة الصدام لم تكن قد أزفت فقد كان الإستعمار فى موقف سيىء بحيث كان من حيث الخطة التكتيكية يعتبر العدو الضعيف فى حلقة أعداء الطبقة العاملة ، فضلاً عن أن بعض البرجوازية كانت تتطلع إلى " الإستقلال " نهائياً بسوقها الوطنى عن الإستعمار البريطانى ، وكانت تسعى فى سبيل ذلك لتجنيد جموع الشعب معها بقصد تهديد الإستعمار وتضليل الجماهير وإنما يجب أن نلاحظ أن القيام بحركة التحرير ضد الإستعمار أفضى فى النهاية إلى إزدياد التعاون بين الرأسمالية والطبقة العاملة .

* * *

سابعاً

حركة التحرير الشعبية ضد الإستعمار سنة ١٩٤٦

تحت ضغط الجماهير الساخطة ترددت البرجوازية فى إعلان حربها الصورية على الإستعمار ، فسبقتها الطبقة العاملة إلى ذلك ، إذ راحت تستعد للمعركة بالدعاية الواسعة والتنظيم ، وتألفت منها لجنة التحرر الوطنى التى أصدرت منشوراً لأول مرة فى تاريخ مصر يحدد مطالب الطبقة العاملة ، ووضع المسألة الوطنية فى مقدمة المطالب العمالية غير أن البرجوازية لم تكن تستطيع الوقوف مكتوفة الأيدى إزاء هذا الوضوح فى موقف الطبقة العاملة فأعلنت على الإستعمار حرباً كلامية . عنيت فيها بنشر القلق والإضطراب فى موقف الجماهير إزاء الإستعمار ، ثم زاد المد الثورى فى الشعب ، فأصبح من القوة بحيث إضطر البرجوازية إلى أن تتخلى جزئياً عن رغبتها فى المسالمة كما إزدادت ثورية الشعب من تجاهل بريطانيا لحرج الموقف ، وإنضمت إلى الطبقة العاملة أغلبية ساحقة من البرجوازية الصغيرة فى المدن وبخاصة الطلبة ولا شك فى ثورية الطلبة ولا شك أيضاً فى طبيعتهم البرجوازية الصغيرة غير إنه لم تكد الطبقات الشعبية من العمال والطلبة والبرجوازية الصغيرة تصطدم فى كفاح دموى مع الإستعمار حتى تبدت للبرجوازية طبيعة الحركة التحريرية كانت حركة تحريرية وطنية يغذيها الشعب بدمه ، وتقودها العناصر المتقدمة فيه من عمال وطلبة فإنعزلت بذلك البرجوازية عن الحركة وعن الشعب ، وبدت للجميع عندئذ خيانة الرجعية بأكملها لقضية التحرر من الإستعمار

وقد علمنا فيما سبق أن البروليتاريا يمكن أن تشترك ، ويجب أن تشترك فى الكفاح الوطنى التحريرى غير إنها إذا لم تكن ذات وعى صحيح كامل لم تشترك فيه تحت رايتها الخاصة ، وإنما تحت راية البرجوازية فإذا إشتد وعيها وقوى ساعدها كان لها علمها الخاص ، وكانت فى طليعة الحركة

التحريرية وكان هذا شأن الطبقة العاملة فى مصر ، فكافحت مستقلة عن البرجوازية وهذا سر قوة الحركة فى البداية ، وسر قضاء البرجوازية عليها بعد ذلك فقد خافت البرجوازية ومعها الاستعمار والاقطاع من هذه الثورة السليمة ، من نجاح ثورة التحرير ضد الاستعمار ، لأنه إذا استمرت الحركة وإستمرت فيها قيادتها العمالية الشعبية لم تعد البرجوازية فى مأمن من إحتمالات تطور الموقف ، أدركت البرجوازية إنه إذا إستطاعت الحركة الشعبية أن تحقق بمعزل عنها نصراً ثابتاً على الإستعمار أصبح توازن الطبقات فى مصر عرضة للإختلال ، أصبح وجود البرجوازية فى خطر ، وأصبحت فرص الطبقة العاملة لا تحصى أدركت البرجوازية هذا بوعيها فهى تعلم إننا نعيش منذ الحرب الأولى فى عصر التحرر من الإستعمار العالمى وإنتصار ثورة العمال فى العالم كل هذا جعل الرجعية تتخذ وتقف فى وجة الحركة التحريرية الشعبية، وتولى النقراشى وصدقى محاربة الوطنيين والديمقراطين بكل سلاح ، يضاف إلى هذا إنعدام التعاون بين العمال والفلاحين وإنعزال هؤلاء عن الكفاح التحريرى ضد الإستعمار مما سهل على الرجعية أن تبطش بالحركة وأصحابها

* * *

ثامناً

البرجوازية تصفى الحركة التحريرية الشعبية

لهذه الظروف فقدت البرجوازية المصرية شعورها الوطنى الذى دفعها إلى الثورة ضد الإستعمار فى سنة ١٩١٩ ، أصبحت لا تتمسك بالوطنية إلا إذا إقتضتها حماية مصالحها الخاصة ، أو الحاجة إلى تضليل الجموع الشعبية التى إنتهت إليها مقاليد الكفاح الوطنى وفطنت البرجوازية إلى ضرورة وقف التيار الثورى وتحويل الشعب والطبقة العاملة عن التفكير فى تناقضات المجتمع المصرى

وهكذا ترزح الطبقة العاملة منذ سنة ١٩٤٦ حتى اليوم تحت وطأة إنقلاب رجعى غرضه عدم السماح للطبقة العاملة وحلفائها بالإشتغال بالحركة الوطنية أو قضية العمال وبعد إن كانت البرجوازية تتردد فى إعلان حربها على الإستعمار ، وأعلنت فى صراحة رغبتها فى محالفته ، وأقامت بالتعاون مع بقايا الإقطاع حكماً إستبدادياً إرهابياً للقضاء على الحركات التقدمية ، وشجعت الفاشية وأعمال الإرهاب

وشغلت الأذهان بمشكلة السودان ، ثم جندت الشعب لفتح فلسطين هذه هى صور مختلفة لسياسة واحدة هى إستخدام جميع الوسائل لتحطيم الطبقة العاملة وإرغامها على قبول الوضع الحالى وما ينشأ عنه من متناقضات جديدة وتحطيم ثورية الشعب وشغله عن مشاكله الحقيقية فى التحرر من الإستعمار وكبار الملاك والإحتكاريين

التحالف مع الإستعمار

كما تحالف توفيق مع الإستعمار لضرب البرجوازية الناشئة ، تحالف صدقى مع هذا الإستعمار لضرب البروليتاريا الناشئة وكانت قد ظهرت منذ الحرب فرقة من البرجوازية تنادى صراحة بالإتفاق مع الإنجليز وتحقيق تحالف

معهم لاطلاق منه بينما مالت فرقة منهم إلى الإستقلال بالسوق المصرى دون الإنجليز ، وقبل الإتفاق معهم غير أن الخطر الذى تعرضت له البرجوازية فى مجموعها عند قيام الشعب ضد الإستعمار ، جعل هذا الفريق يرتمى فى أحضان الإستعمار ، ويجعل مصير التحرر بإرادة بريطانيا

صرح صدقى للإنجليز فى خلال مفاوضته معهم

لسنا نضع السنج فى ظهوركم حتى تخرجوا على عجل ، بل أنتم تخرجون على مهل خروجاً كريماً (كذا) لا يترك ورائه مرارة !! " ولم يعد التحالف مع الإستعمار ضمان للمراكز البرجوازية ضد الطبقة العاملة فحسب ، ولكن ضد الطبقة العاملة فى العالم كله ضد الإتحاد السوفيتى والجمهوريات الديمقراطية الشعبية

ذكر بيفن للمفاوض المصرى :

إننا فى الواقع نجتاز مرحلة دقيقة يتهددنا فيها الخطر الروسى تهديداً شديداً ، والمسألة مسألة حياة أو موت لنا ولكم ، فليس من مصلحة مصر (كذا) مطلقاً فى هذه المرحلة أن تكون خالية من الجيوش التى تدافع عنها وعن أنفسنا .."

إن الغرض الذى ترمى إليه البرجوازية اليوم هو أن تجند الفلاحين والعمال لضرب الإتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية القادمة ، دفاعاً عن الإستعمار العالمى الأمريكى والبريطانى ، وأصبحت الحرب على أفواه البرجوازية ، ويقرر ممثلوها من الآن أن حيادنا غير ممكن ، وأن بريطانيا سند قوى ، فالتحالف معها واجب رضينا أم كرهنا ، ويصرح صدقى

".. بإنه لا توجد بنا حاجة للبحث عن أمة كبيرة نساعدها وتساعدنا عند وجود الخطر ، فإن بيننا وبين بريطانيا حلفاً قائماً فعلاً

كل ذلك كما لو كان صحيحاً إن الإتحاد السوفيتى يسعى للإستعمار مع

إنه أول من يعاديه منذ أن قام في سنة ١٩١٧ ، وكأنه هو الذى يهددنا مع إنه يبعد عنا آلاف الأميال ، ومع إنه لا يهددنا إلا الإستعمار القابع فى ديارنا وموقف الطبقة العاملة من الإستعمار معروف فهو أخطر أعدائنا ، وقد عقد محالفات مع البرجوازية المصرية وهو على وفاق مع بقايا الإقطاع وبخاصة منذ سنة ١٩٤٤ كما إنه مستند فى الميدان الدولى إلى الإستعمار الأمريكى ويكون معه معسكراً ضد الديمقراطية والحرية ضد الإتحاد السوفيتى والشعوب ، ولم يعد واجبنا قاصر على محاربة الإستعمار الذى يستعبدنا فى بلادنا ، بل يجب أن نكافح ضد كل محاولة ترمى إلى إستخدامنا فى قطعان الإستعمار لإستعباد الشعوب الحرة والبلاد الإشتراكية ، وسيجىء اليوم الذى يتحد فيه كفاحنا ضد الإستعمار والرأسماليين ، ويكون إفسادنا لمشروعات الإستعمار كسباً كبيراً لثورة الشعب المصرى .

تفاقم الإستبداد الإقطاعى

وأطلقت الرجعية يد الإقطاع فى الحكم ، فأقام دولة بوليسية عسكرية ، تجتمع فيها كل السلطات فى يد فرد مستبد يحتمى بالجيش ويشتريه ، ويستند إلى نطاق واسع من البوليس السياسى ضد الشعب من العمال والفلاحين والوطنيين

قال إنجلنز :

" تتدعم السلطة العامة بتفاقم المتناقضات البرجوازية فى داخل الدولة .."

- أصل العائلة ص ٣٢٥ -

وقد ربط لينين بين هذه الحقيقة وبين إتجاه الدولة للتدخل فى الإقتصاد الرأسمالى لحماية الرأسماليين ، وحاجتها فى نفس الوقت إلى التوسع الإستعمارى فى الخارج تأييداً لهذه الطبقة فقال :

ساعدت الحرب الإستعمارية على سرعة وتفاقم مجرى التحول من الرأسمالية الإحتكارية إلى رأسمالية الدولة الإحتكارية ، وغدا غاية فى القسوة ذلك الإضطهاد الفاحش لجماهير العمال بواسطة الدولة التى تختلط باستمرار بالجماعات الراسمالية المسيطرة .."

- الدولة والثورة ص ١١

وقد بدأت الخطة بتعطيل الدستور فعلاً ، ومع أن هذه السياسة قديمة فقد ظهرت مع الدستور نفسه ، إلا أن إستخدامها اليوم فى الظروف الجديدة المعينة ينبىء عن تطور خاص جديد . فمنذ ظهور الدستور قامت بعض البرجوازية الكبيرة وكل الصغيرة برئاسة الوفد تنادى بحياة نيابية سليمة يكون الأساس فيها حق الإقتراع العام لكل مصرى قادر ويكون البرلمان فيها مجمع السلطات بعد الأمة غير أن الظروف التى فصلناها فيما سبق أدت إلي تعطيل هذا البرنامج الديمقراطى البرجوازى ثم توالت الحوادث فأصبحت هناك قوة بروليتارية فى المجتمع يمكنها أن تنازع سلطة الإقطاع والبرجوازية أيضاً ومن هنا كان لتطور الوفد الأخير مغزى هام ، فقد إستقرت القيادة فيه بين أيدى البرجوازية الكبيرة ، وإنعزل الوفد عن جماهيرة الموجودة فى البرجوازية الصغيرة بهذا التطور فى صفوف الوفد صار الوفد معقلاً هاماً من معاقل الرجعية ، وأصبحت البرجوازية الكبيرة كلها تخشى الحركة الديمقراطية الدستورية لخشيتها من أن يقود العمال المعركة النيابية بنجاح يتفق وحالة الوعى التى بلغوها - لهذا إستقر الرأى الآن فى الصفوف الرجعية على أن الإستبداد الحكومى هو خير وسيلة لمقاومة المد الثورى الشعبى . وفى ذات الوقت رأى الإستبداد ضرورة زيادة رجال الجيش والبوليس ، وإغداق المنح عليهم مع التفريق بين الضباط والجنود إبقاءاً على الفروق الطبيقة . كذلك أقام عدداً من معسكرات الإعتقال منذ غزو فلسطين وإستعان بالأحكام العرفية ليقتل حرية الصحافة والإجتماع والبقية الباقية من الحريات .

قال لينين :

لا توجد وسيلة آخرى لمكافحة المد الثورى للبوليتاريا غير التأثير الأيدلوجى والإضطهاد .."

- الكارثة التى تهدد ص ٧ -

فى هذه المرحلة من التطور تبلغ مسألة الحريات من الخطورة حداً لم تبلغه فى الماضى ، إذ تربط شكل الدولة بكفاح الشعب فى سبيل الحرية ، إن هذه المؤامرة على الحريات التى يشترك فيها جميع رجال العهد الحاضر من الرأسماليين والإقطاعيين توجب علينا التفكير فى شكل الدولة وضرورة تغييره ، إننا نعيش فى مصر أقل ما يقال فيه إنه يشبه بعصر القيصرية التى سماها لينين إستعمارية عسكرية إقطاعية .

تشجيع الفاشية :

وتبين الجميع الجدوى من مقاومة الفكر الإشتراكى وغيره من الأفكار الحرة بتشجيع تيار فكرى جديد يتخذ الإسلام تكئة لدعايته ، بينما هو يسلم بكل دقائق المجتمع الرأسمالى القائم فراحت البرجوازية تؤيد جماعة الأخوان المسلمين وغيرها من المنظمات المشابهة وإمدادها بالمال والنقود كما سكتت على قيامها بحمل السلاح علناً وإستعماله ضد المنظمات العمالية والتقدمية

وليس فى ظهور الجماعات الفاشية ما يدعو إلى الدهشة ، فالتطور الذى قطعته الرأسمالية لدينا تطور محسوس ، أى أن التناقض بين الطبقات بلغ حد التفاقم ، فالخوف شديد من تحول المد الثورى إلى حركة ثورية يتولاها العمال لتحقيق نظامهم الإشتراكى ، وبالتالى فإن الحاجة إلى تيار قوى ، فكرى ديماجونى يستعين بالإرهاب والعنف الفردى لغرض سيطرته ، الحاجة إلى ذلك ماسة مع إن الرأسمالية فى مصر لم تبلغ من القوة ما وصلت إليه الرأسمالية الكبيرة فى ألمانيا وإيطاليا قبل هتلو وموسيلينى كما أن النظام الديمقراطى

الذى عرفته الدولتان قبل الفاشية لم تعرفه مصر حتى اليوم ، والنتيجة هى أن طرق الفاشية مستعملة بغير الفاشية ، مستعملة منذ الآن وقبل أن يستولى الفاشيون على الحكم وبغير حاجة شديدة لهم . وهذا يفسر لنا كيف أن الفاشية لم تستدع إلى الحكم بعد فى مصر أما غضب البرجوازية حالياً على هذه الفاشية ، فمرجعه أن البرجوازية تستعمل الفاشية فى مرحلة معينة من التطور لكى تخفى عن العمال بالإرهاب والديماجوجية فظاعة الإستغلال الرأسمالى فالفاشية وسيلة البرجوازية للفضاء عن ثورة العمال . والفاشيون بحكم موقفهم وطبيعة الطبقات التى تنضم إليهم عن علم أو جهل بحقيقتهم ، ينزعون إلى اليسار أحياناً مما يهدد مراكز البرجوازية فتلجأ إلى إبعاد هذه العناصر اليسارية دون القضاء على الحركة الفاشية وهذا هو ما حدث للإخوان أخيراً فقد سخرتهم البرجوازية لتمهيد الرأى العام لضرورة غزو فلسطين ، وما أن إنتهوا من هذه المهمة حتى طالبوا بالثمن ، وبدأ خطر العناصر اليسارية فيهم فأوقفتهم الحكومة عند حدهم ، ولن نلبث غير قليل حتى نرى الفاشية الإسلامية من جديد فى ميدان السياسة ، وذلك عندما يكون من الضرورى متباعة الهدف البعيد وهو تحطيم الحركة العمالية والتقدمية ، والتمهيد لتنفيذ مؤامرات الرجعية والإستعمار ،

السكوت على الإرهاب :

قال لينين :

يذعن الإرهابيون لتلقائية الإستنكار الشديد الخاص بالمثقفين الذين لا يعرفون أو لا يمكنهم أن يربطوا بين العمل الثورى والحركة العمالية

- ماذا يجب أن نعمل ص ٧٨ -

إنما يريد لينين بهذا أن يظهر ما تتميز به الحركة الإرهابية عن الحركة الإشتراكية فالإرهابيون ساخطون بغير شك على الحالة الإجتماعية والسياسية التى تفرضها الرجعية على طبقات الشعب ، ولكنهم يظهرون فى العادة من بين صفوف المثقفين الشبان الذين بلغت درجة الوعي فيهم حد الثورة على أشخاص النظام القائم ، ولم تتحد إلى تعمق أسباب الظلم الإجتماعى وهم لفورة الشباب وتأصل النزعة الفردية فيهم ، ومن جانب آخر لشدة سخطهم على النظام القائم ميالون إلى العمل الفردى المباشر ، إلى الإرهاب فالذى يعنيهم فعلاً هو إنهم لم يتعمقوا أسباب الظلم الإجتماعى ، إنهم لا يعرفون أو لا يمكنهم أن يربطوا بين العمل الثورى والحركة العمالية لأن الثورة الوحيدة التى يمكن أن تخرج المجتمع المصرى من فوضاه هى ثورة الطبقة العاملة والشعب ومن هنا تعددت مخاطر الإرهاب فهو يرمى إلى تخويف الرجعية ولكنه غالباً ما ينتهى بأحكام قبضة الإستبداد على الثورة ، إذ تتخذ منه الرجعية مبرراً وسنداً لحملات جديدة للإضطهاد وهو يدل أيضاً على عدم فهم لواجباتنا العاجلة كثوريين ، وأخيراً فهو لا يقدر النشاط الثورى للجماهير حق قدرة .

كتب لينين

إننا لا نستبعد الإرهاب الفردى بالطبع إلا لأسباب عملية لأسباب خاصة بالغرض الذى نسعى إليه "

- مرض الشيوعية ص ١٤ -

هذا هو الإرهاب الذى راح ضحيته بعض رجال الرجعية القائمة بينما إستفادت من هذا الإرهاب بأن أحكمت سيطرتها على البلاد ولكن هناك نوعاً آخر من الإرهاب شجعته الرجعية وشملته بالتأييد والحماية وهذا هو الإرهاب الذى يرمى إلى التلخص من المعارضين الموجودين فى صفوف البرجوازية وبقدر ما نستنكر إرهاب المثقفين ضد أشخاص الرجعية ، نستنكر الإرهاب

الذى تعلنه الرجعية على آخر صوت للمعارضة فيها فتلك مؤامرة من سلسلة المؤامرات ضد الرأى والحرية لتسهيل إستبداد الدولة البوليسية والعسكرية ، وهى وإن كان المقصود بها أفراداً من البرجوازية الكبيرة أو الصغيرة ، إلا أن هؤلاء الأفراد لأسباب كثيرة أهمها تقربهم من الطبقات الشعبية ، يعلنون رغبتهم فى مقاومة الإستبداد الإقطاعى ، وقد أوصانا لينين أن نستفيد من كل إنقسام فى صفوف الأعداء

إستعمار السودان :

ولكى تخفى البرجوازية خيانتها الوطنية وتحالفها مع الإستعمار إصطنعت مشكلة السودان وربطتها بمشكلة تحرير الوطن مع علمها المطلق بأن بريطانيا لا يمكن أن تتخلى حالياً وفى ذات الوقت عن السودان وعن مصر معاً وهكذا شغلت الرأى العام بضرورة إستعمار السودان وعلقت مصير القضية المصرية بمصيره ، فظهرت بذلك ، رغبتها فى إستمرار بقاء الإستعمار فى مصر ، وهذا لا يعنى أن مشكلة السودان مصطنعة من أساسها بل أن الرجعية المصرية تخشى كثيراً من إتساع رقعة الأرض المزروعة قطناً بالسودان ، ومن نمو صناعة النسيج فيه مما يهدد في الحال أو فى المستقبل مركز الرأسمالية المصرية فى السوق

وكتب صدقى يقول :

لم يكن مطلب مصر فى مسألة السودان مستنداً إلى نزعة إستعمارية أو ميل إلى سيطرة ، إنما يقصد المصريون أن يحفظوا لأهل السودان حق الأخوة الكاملة الشاملة المؤسسة على ما أوجدت الطبيعة من التعاطف والتحاب بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر

والتعاطف والتحاب فى لغة الرأسماليين الإحتكاريين إسم آخر هو الإستعمار

وقد تطور الموقف فى السودان منذ سنوات ، فهناك طبقة إقطاعية غالبة منفقة مع الإستعمار البريطانى منذ دخوله . غير أن طبقة من المثقفون والتجار بدأت فى الظهور فى الأفق مهددة بذلك مركز الإقطاع القديم

وهى بظهورها فى الميدان وهو معقد التكوين الإجتماعى ، قد وجدت عدوها متحالفاً مع الإستعمار وهى كطبقة برجوازية ناشئة لا تزال تدعى الإهتمام بالسوق الوطنى وإستخلاصه من المستعمر ، ولذلك لجأت إلى التحالف مع البرجوازية المصرية.بدورها لتضرب عدويها معاً الإقطاع السودانى والبرجوازية البريطانية ، وهذا يفسر إتجاه البرجوازية السودانية نحو مصر أما تحالف البرجوازية المصرية مع هذه الطبقة فمرجعه أن الإستعمار المصرى يناقش الإستعمار البريطانى وينازعه سيطرته فى السودان ، وهذا ممكن الوقوع بين إستعمارات متحالفة فالإستعمار الأمريكى فى فلسطين ينافس الإستعمار البريطانى هناك رغم تحالفهما وإتفاقهما على الحرب ضد الإتحاد السوفيتى وهكذا راحت البرجوازية المصرية تنازع بريطانيا فى السودان عن طريق بذل الوعود بنظام أكثر ديموقراطية وحرية من النظام الذى تفرضه على مواطنيها المصريين كل ما هنالك يجب أن نقول أن الحركة الوطنية فى السودان تقودها برجوازية ناشئة متهادنة إلى حد كبير مع الإستعمار فهى تهادن الإستعمار المصرى ، وهذا بدورة يهادن الإستعمار الإنجليزى

البرجوازية السودانية ذيل صغير للإستعمارية العالمية

إزاء هذا الموضوع يلزم على الحركة التقدمية فى مصر أن تتخذ موقفاً من مشكلة السودان يتفق وتعاليم الماركسية اللينينية الستالينية التى تسلم للمستعمرات بحق تقرير المصير

كتب ستالين فى ظروف ما قبل ثورة أكتوبر:

يعتبر الكفاح الوطنى فى ظروف الرأسمالية الصاعدة كفاحاً بين الطبقات فيما بينها ، ولكن لا يستتبع ذلك إلا تحارب البروليتاريا ضد سياسة إضطهاد الجنسيات .."

- المسألة الوطنية صفحة ١٨ -

وكتب أيضاً

الحق مع لينين حين يقول إنه يجب تقدير الحركة الوطنية فى البلاد المستعمرة لا من ،جهة نظر الدمقراطية البحتة ، ولكن من حيث نتائجها فى الميزان العام للكفاح ضد الإستعمار أعنى ليس على حدة ولكن فى النطاق العالمى .."

- مبادىء اللينينية صفحة ٥٨ -

فتأييدنا للكفاح الوطنى فى السودان يكون بمقدار تأثير هذا الكفاح على قوى الإستعمار فى العالم ، وعلى هذا الأساس يجب القول بأن هزيمة الإستعمار فى السودان تؤيد الشعب المصرى فى كفاحه التحريرى ، كما أن كفاح الشعب المصرى للتحرير يؤيد ويقوى كفاح السودان ضد الإستعمار والموقف المصرى التحريرى يؤيد كفاح السودان ضد الإستعمار.

والموقف الآن يتلخص فى الفكرتين التاليتين

اولاً:

للشعب السودانى فى كفاحه ضد الإستعمار حق تقرير المصير وعلى الطبقة العاملة المصرية أن تؤيد هذا الكفاح الشعبى التحريرى بالدعاية والدفاع عنه

يقول لينين :

أن مركز الثقل فى التعليم الدولى للعمال فى البلاد السيدة يجب أن يتلخص فى الدعاية والدفاع عن حرية الشعوب المضطهدة فى الإنفصال

ثانياً:

لا يتناقض هذا الموقف ورغبة السودانيين فى الإنضمام إلى مصر ، فمن المؤكد أن للسودانيين حرية طلب الإتحاد كما أن لنا طلب حرية الإنفصال ،

ولا شك فى إنه إذا كانت تلك رغبة الأغلبية الشعبية فى السودان ، فإنها تساعد على إنتشار تعاليم الدولية ، وعلى سرعة إندماج الشعوب .

كتب لينين :

".. يرى بعض الذين لم يتعمقوا الموضوع أن من التناقض أن يصر الإشتراكيون فى البلاد السائدة على حرية الإنفصال بينما يصر الإشتراكيون فى البلاد المنهدة على حرية الإنضمام ولكن يكفى قليل من التفكير لنرى إنه فى هذه الحالة المعينة لا يوجد ، ولا يمكن أن يوجد طريق آخر نحو دولية الشعوب وإندماجها

وقال ستالين :

".. حين أعترف بحق الأمة فى الإنفصال فلا يعنى ذلك إننى أرغم هذه الأمة على الإنفصال ، فالشعب المعين حقه فى أن ينفصل ولكنه تبعاً للظروف قد يمارس هذ الحق وقد لا يمارسه

غزو فلسطين :

ظهرت مشكلة فلسطين لأول مرة بعد الحرب العالمية الأولى ، فقد خلقها الإستعمار البريطانى ليضمن سيطرته على الشرق الأوسط وطرق البترول فيه ، وكانت الصهيونية عندئذ تتبع الرأسمالية الغالبة فى العالم ، وهى الرأسمالية البريطانية غير إنه كان لإزدياد النفوذ الأمريكى بعد الحرب الثانية ، إن إزداد تدخل أمريكا فى منابع البترول فى الشرق الأوسط وبدأت منافستها تشتد للإستعمار الإنجليزى ، فإضطر أن يدافع عن نفسه بالإختفاء رسمياً من فلسطين وللبقاء شيئاً فيها بإسم عميلة فى الشرق عبد الله ملك شرق الأردن الذى أرادوا أن تكون له فلسطين العربية

وإذا كانت مشكلة فلسطين قد خلقها الإستعمار الإنجليزى ، وإذا كانت قد تفاقمت بالتنازع بين هذا الإستعمار والإستعمار الأمريكى ، فإن حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ قد أرادتها البرجوازية والإقطاع فى مصر مجتمعة لأسباب فى غاية الأهمية :

اولاً:

النزاع الإقطاعى الإستعمارى بين فاروق وعبد الله فلو لم يدخل فاروق أرض فلسطين مع جيوش الملك عبد الله ، لإستقل هذا بالعمل فى فلسطين ولكانت جيوشه تجرى منذ وقت طويل فى أرض سوريا تحقيقاً لسياسة سوريا الكبرى الإنجليزية ، ومعنى هذا إنه كانت تغدو شرق الأردن فى مركز ممتاز بالنسبة لمصر بين بلاد الجامعة العربية ، وهذا ما لا يرضاه الإقطاع الإستعمارى فى مصر ، الذى دخل فلسطين ليحد من توسع شرق الأردن ، وليأمن خطر الرأسمالية اليهودية فى ذات الوقت ، وليدعم مركزه فى الجامعة العربية وبفرض سيطرته عليها

ثانياً:

رغبة البرجوازية والإقطاع فى مصر فى شغل الشعب عن مشاكله الحقيقية ، عن تفاقم تناقضات النظام الرأسمالى الحاضر ، وإخماد كل مد ثورى فى الشعب عن طريق الأحكام العرفية فكلنا نذكر المد الثورى الذى أعربت عنه طبقات الشعب قبل مايو سنة ١٩٤٨ ، وذلك سواء بالإضرابات العمالية أو بالمظاهرات الشعبية ، أو بتوقف رجال البوليس عن العمل وتأييد الطبقة العاملة لهم . كل هذا دعا الرجعية للعمل السريع وبغير تردد . وهنا يأتى دور الفاشية المصرية خادمة الرأسمالية والإقطاع فى إعداد الاذهان لغزو فلسطين والدعوة إلى الحرب

ثالثاً:

تمرين الجيش المصرى على القتال إستعداداً للحرب العالمية القادمة ضد الإتحاد السوفيتى ، وتمهيد الرأى العام ضد الإتحاد السوفيتى بتهمة تأييد حكومة إسرائيل ، ولو كانت هذه تهمة لوجب توجيهها أولاً إلى أمريكا وبريطانيا ، فقد دل تطور الحوادث فى معركة فلسطين على إنه كان محكوماً

بأمرين أساسيين ، هما عدم تمكين الدول العربية وبخاصة مصر من السيطرة على فلسطين إبقاء على سلطان بريطانيا بواسطة شرق الأردن والثانى هو خوف أمريكا وبريطانيا من قيام حكومة شيوعية فى إسرائيل ، غير إنه ما كادت تظهر نتائج الإنتخابات وتبين وجود أغلبية رجعية فيها حتى إعترفت بريطانيا بحكومة إسرائيل وتبعتها مجموعة البلاد البريطانية ، ومن ناحية أخرى دلت حرب فلسطين على تفاقم متناقضات النظام الرجعى المصرى الذى أصبح لا يقوى على الإحتفاظ بمركزه فى مصر بغير الإلتجاء إلى إستعباد شعب آخر هذا النظام الذى يفضل تبذير أكثر من مائة مليون جنيه بين يوم وليلة فى حرب فاشلة على إنفاق مليون جنيه على التعليم أو الصحة أو التأمين الإجتماعى ولا شك فى أن هذه الحرب لا تعترف بين ضحاياها بفروق الطبقات ، فإذا كان الجنود قد مارسوا إستعمال السلاح فإنهم خرجوا وقد أحسوا بأهميتهم الإجتماعية ولا يزال فى ذكراهم إنهيار الفارق الإجتماعى فى ساحة القتال وأخيراً فقد إنتهت حرب فلسطين وأسفرت عن قيام دولة جديدة فى الشرق الأوسط ، قوة جديدة فى ميدان السياسة الدولية ، ويجب أن يحسب حسابها فى جميع الشئون المختلفة ، ومعنى ذلك أن أكثر من عامل أصبح يتدخل فى تكوين كفاح الطبقات فى مصر ، فإزداد تعقيداً على تعقيده غير أن الطبقة العاملة المصرية لا تستطيع أن تقبل الوضع الحالى فى فلسطين ، وإنما تنادى بضرورة إنهاء الحرب فى الحال ، والإنسحاب منها مع قيام دولة عربية دمقراطية مستقلة فى الجزء من فلسطين الذى قررت هيئة الأمم تركه للعرب ، كما تطالب الطبقة العاملة بضرورة تأمين مستقبل مشوهى الحرب من الجنود وتعويض عائلات القتلى والجرحى

* * *

تاسعاً

خيانة البرجوازية المصرية لدورها التاريخى

هناك إذن سياسة عامة تطبقها البرجوازية المصرية ، وهى سياسة إذلال الطبقة العاملة فى هذه المرحلة من التطور لتحقيق أغراض البرجوازية ، ومنعها من التفكير فى تغيير النظام القائم والتمرد عليه وقد لجأت البرجوازية فى سبيل ذلك إلى التحالف مع الإستعمار والإقطاع وبذلك خانت الديمقراطية والتحرر الوطنى خانت دورها التاريخى الذى كان يحتم عليها أن تعبر فى وقت قصير بالتطورات الطويلة التى قطعتها الدول العريقة فى الرأسمالية واليوم تقضى سياسة البرجوازية فى هذه الدول بأن خير وسيلة للإحتفاظ بنظامها المؤقت هو تجهيز جميع الدول للدخول فى حرب ضد الإتحاد السوفيتى والجمهوريات الجديدة لقد بلغنا المرحلة التى تسيطر فيها الإتجاهات الدولية على مصير التطور فى كل دولة على حدة وبدا للناس إنقسام العالم إلى معسكرين كبيرين إحداهما معسكر الديمقراطية والسلام يقوده الإتحاد السوفيتى ، والآخر للإستعمار والحرب الإستعمارية وتتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية ونظراً لأن الإتحاد السوفيتى والديمقراطيات الجديدة قد أصبحت عقبة فى سبيل المطامع الإستعمارية والهادفة إلى القضاء على الحركات الديمقراطية ، أصبح الهدف الأصيل فى المعسكر الإستعمارى هو القضاء على هذه البلاد الحرة والبرجوازية تستسلم وتخون الوطن فترتمى فى أحضان الإستعمار الأمريكى ، وتقبل التحالف مع الفاشيين وأمثالهم من الرجعيين ثم هى تحقق سياسة غير ديمقراطية فتكبت الرأى وتقيد الصحافة وتضع الإجتماع وإنعكس هذا التطور على مصر ، فقد بلغ الكفاح الطبقى فيها حداً عنيفاً ، خشى معه من إنتصار الطبقة العاملة وقيامها بثورتها ضد الرجعية وإزدياد هذا الخوف بإنتصار الشعب على الإستعمار وتنديده ببقايا الإقطاع فى ذات الوقت كبرت إحتمالات إنتصار العمال فى العالم وإنتشار النظام الإشتراكى .

قال منشور الأحزاب الشيوعية التسعة

يدور الكفاح بين المعسكر الإستعمارى والمعسكر المعادى للإستعمار فى ظروف التفاقم المستمر للأزمة العامة الرأسمالية وضعف قوى الرأسمالية وإنتصار الديمقراطية والإشتراكية

فخيانة البرجوازية لدورها التاريخى يفسرها التطور العالمى .فمن جانب ضعفت قوى الرأسمالية ومن جانب آخر إزدادت وتقوت قوى الإشتراكية والديمقرراطية وخيانة البرجوازية معناها إنها لا تريد أن تنتحر بيديها بل هى تستغل آخر ما لديها من فرص الحياة ، وتذكرنا هذه الخيانة بما سماه ماركس دولية سيطرة الطبقة الرأسمالية .

قال ماركس

لم تعد سيطرة الطبقات تتقنع بلباس وطنى فالحكومات الوطنية المختلفة تكون حكومة واحدة ضد البروليتاريا

- الحرب الأهلية بفرنسا ص ٧١-

غير أن أخطر ما يدل عليه هذا التحول هو أن الطبقة العاملة هى الطبقة الوحيدة الثورية فى المجتمع التى يمكنها أن تواصل الكفاح ضد الإقطاع والإستعما ر حتى النهاية ، وضد البرجوازية لتحقيق ثورة العمال إنها الطبقة الوحيدة التى تستطيع أن تحرر المجتمع وذلك بتحرير نفسها من الإستغلال إن الثورة البرجوازية الديمقراطية قد صارت منذ أمد طويل ثورة ديمقراطية جديدة تتولاها الجماهير الشعبية وتقودها الطبقة العاملة ، تلك هى خلاصة التجربة الثورية فى مصر

* * *

عاشراً

الطبقة العاملة طبقة رئيسية فى مصر

الطبقة العاملة هى الوحيدة بين طبقات المجتمع التى تستطيع أن تقود العمل الثورى للقضاء على الفوضى الإجتماعية فقد رأينا طبقة الإقطاع تحالف الإستعمار من قديم ، ورأينا البرجوازية الكبيرة تتحالف معها ومع الإستعمار ، أما الطبقة البرجوازية الصغيرة فهى طبقة ثورية تتردد بإستمرار بين البروليتاريا والبرجوازية ، وكثيراً ما تنضم للأخيرة لقوتها ، فما يبقى فى ميزان القوى غير العمال والفلاحين

يقول ستالين :

يجب إلا نؤسس عملنا على الجوانب التى لم تعد تنمو مهما كانت تمثل فى الحال القوة الغالبة

- المادية الجدلية ص ١٠-

ويصرح إنجلز فيقول

نظراً لتوزع طبقة الفلاحين على مساحة واسعة من الأرض ونظراً لصعوبة إقامة إتفاق بين أى جزء مغير منها فإنها لا تستطيع أبداً أن تحاول القيام بحركة مستقلة ، بل يلزم لها دافع أصلى من سكان المدن ، وهم أكثر تحرراً وفهما وأقدر على العمل

- الثورة وضدها فى ألمانيا ص ١٩

فيلزم عند تقدير القوى الثورية الصالحة أن نراعى قدرتها على النمو ومدى إرتباط المستقبل بها ، ولا يهم أن تكون هناك طبقة أخرى أكثر عدداً منها وأكثر إحتمالاً للظلم ، فالطبقة العاملة بحكم وظيفتها فى الإنتاج أصلح من الفلاحين فى الثورة وأقدر منهم على الفهم والعمل

قال لينين :

".. الطبقة الوحيدة التى يمكنها قلب السيطرة البرجوازية هى البروليتاريا فتلك الطبقة تؤهلها ظروف الوجود الإقتصادية لهذا الإنقلاب وتعطيها الإمكان والقوة لتحقيقه فبينما نرى البرجوازية تفرق وتشتت الفلاحين وكل الجوانب البجوازية الصغيرة نراها توحد البروليتاريا وتنظمها ، وبحكم وجودها الإقتصادى فى الإنتاج الكبير فإن البروليتاريا هى الوحيدة التى تقدر على قيادة الجماهير الكادحة والمستغلة التى غالباً ما تستغلها البرجوازية وتضطهدها وتحطمها ليس أقل بل أكثر من البروليتاريا ، ولكنها عاجزة عن القيام بكفاح مستقل لتحرر نفسها

- الدولة والثورة ص ٢٦-

هذا عن قدرة الطبقة العاملة علي النضال ضد الإقطاع والبرجوازية وهى كذلك أصلح الطبقات فى مصر لقيادة الكفاح ضد الإستعمار فبعد أن خان الإقطاعيون والرأسماليون وطنهم لم يعد هناك فى الميدان إلا الطبقة العاملة التى يعتبر كفاحها ضد الإستعمار كفاحاً ضد الرأسمالية والنظام القائم بجميع قواعده ، فصلاحية الطبقة العاملة هذه أمر مقرر منذ إنتصار الشيوعية على روسيا القيصيرة

يقول لينين :

يجب الكلام الآن عن وجود الظروف الموضوعية للثورة البروليتارية فى مجموع نظام الإقتصاد الإستعمارى ككل

- مبادىء اللينينية ص ٢ -

وإذا كانت الطبقة العاملة وصلاحيتها أمر ثابتاً نظرياً ، فهل الطبقة العاملة المصرية أصلح الطبقات بالفعل للقيام بالثورة على النظام القائم وبعبارة

أخرى هل تعتبر طبقة إجتماعية ، وهل هى طبقة إجتماعية قادرة على الثورة ؟ نســـأل عن ذلك لأن هناك نفـــراً من المخربين ينكر أهمية الطبقة العاملة فى مصر ، ومنهم من ينكر عليها وجودها على الإطلاق تكون الطبقة العاملة قادرة على الثورة متى ضمت عدداً كبيراً من العمال متظمين أذكياء ، ساخطين على مظالم النظام القائم سواء حلت بهم أو بغيرهم من الطبقات ، راغبين فى الثورة عليه عن وهى بضرورة الثورة وإمكانياتها وإمكانية قيام نظام أفضل جديد ، ويعنى هذا أن هذه الطبقة تستلزم شرطين جوهريين ، الأول وجود عدد كاف من العمال ، والثانى توافر الوعى الصحيح فيهم

اولا

نحو الطبقة العاملة

قال إنجلز :

يسير تطور الظروف بوجود طبقة بروليتارية عديدة مركزة وقوية وذكية جنباً إلى جنب مع نمو ظروف طبقة برجوازية عديدة غنية وقوية ، ولا تكون حركة الطبقة العاملة مستقلة ولا .."

(هناك بقية للكلام مفقودة)

* * *

الجزء الثانى

مهمات الحركة الشيوعية المصرية

فى البلاد المستعمرة كمصر حيث يخضع العمال لوطأة أكثر من مستغل ، وحيث هناك بقايا إقطاعية متأصلة ، وحيث إنقسمت البرجوازية المحلية الى فريق هو البرجوازية الصغيرة ، وفريق خائن هو البرجوازية الكبيرة ، وحيث وصلت هذه الأخيرة إلى إتفاق مع الإستعمار ، يصبح فى مقدمة أعمال الحركة الثورية أن تصب نيرانها على الجانب البرجوازى الخائن لفضح خيانته ، وأن تخلص الجماهير الشعبية من قبضته ونفوذه ، وأن تعد الظروف اللازمة لسيطرة البروليتاريا بغير هذا ، لن تتقدم الثورة فيها ، ولن يتحقق لهذه البلاد إستقلالها

قال ستالين :

أن المهام العاجلة للحركة الثورية فى المستعمرات التى تقدمت فيها الرأسمالية هى

١) أن تكسب عناصر الطبقة العاملة إلى جانب الشيوعية ، وأن تؤلف أحزاباً شيوعية مستقلة.

٢) أن تقيم تكتلا ثوريا وطنياً ، من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ضد كتلة البرجوازية الخائنة والإستعمار.

٣) أن تؤكد سيطرة البروليتاريا على هذا التكتل .

٤) أن تكافح لتحرير البرجوازية الصغيرة فى الريف والمدن ، من نفوذ البرجوازية الخائنة

٥) أن تقيم حركة إتصال بين حركة التحرير وبين حركة البروليتاريا فى البلاد المتقدمة .."

- الماركسية والمسألة الوطنية والإستعمار ص ٢١٨ -

ولا شك فى أن أول ما يجب اليوم عمله ، هو كسب أحسن عناصر الطبقة العاملة لصف الشيوعية ، وتكوين الحزب الشيوعى المصرى ، ويأتى فى المرتبة الثانية ، إقامة تكتل ثورى من العمال والفلاحين لعزل البرجوازية الخائنة ولمكافحة الإستعمار ويكون عزل البرجوازية الكبيرة بتحرير البرجوازية الصغيرة فى الريف والمدن من نفوذها ، بتحقيق سيطرة العمال على العناصر الثورية بين الفلاحين والمثقفين ، وقيادة الكفاح بتحالف الفلاحين ضد بقايا الإقطاع ، إعداداً للثورة الكبرى ضد الرأسمالية وحلفائها

اولاً

تكوين الحزب الشيوعى المصرى

الطبقة العاملة المصرية هى أكفأ الطبقات لقيادة الكفاح الثورى التحريرى ضد الإقطاع والبرجوازية والإستعمار ، فهى الطبقة الثورية الوحيدة التى تهيأها وظيفتها فى الإنتاج لدور القيادة ، والإضطلاع بمستقبل المجتمع وكان يمكن منذ عدة سنوات ظهور حزبها الشيوعى طليعة الطبقة العاملة ، والذى تكون مهمته الأولى تكوين هذه الطليعة غير أن المسئولين عن قيادة الحركات الشيوعية قد مالوا بها عن سبيل الثورة البرليتارية ، تارة إلى سياسة حزب القوات الوطنية الديمقراطية وهذه هى إنتهازية اليمين ، وتارة إلى سياسة الحلقات العمالية الإشتراكية ، وهذه هى إنتهازية اليسار

قال لينين :

يدل تاريخ الحركة العمالية اليوم على إنه فى جميع البلاد يكون على الشيوعية الناشئة ، والنامية السائرة إلى النصر أن تمر أولاً وبصفة خاصة بمرحلة من الكفاح ضد المنشقية المحلية فى كل بلد ، أى ضد الإنتهازية والشيوعية الوطنية

- مرض الشيوعية ص ٥٩ -

ومن الخطأ القول بأن منظمة الصوت تمثل تياراً شيوعياً يسارياً فالشيوعية اليسارية لا تظهر إلا فى حزب موجود ومتقدم ، عندما تواجهه مشكلات التاكتيك . الشيوعية اليسارية هى خطأ فى التاكتيك لا فى النظرية إما الإنتهازية فهى خطأ فى النظرية وفى التاكتيك معاً وجميع الإتجاهات التى نراها فى الحركات الشيوعية المصرية هى صور مختلفة لهذه الإنتهازية سواء أكانت مكشوفة يمينية أو مقنعة يسارية فا هى الإنتهازية ؟

كيف نفسر ظهور الإنتهازية فى جنبات الحركة الشيوعية فى جميع بلاد العالم ؟ ما هى طبيعة الإنتهازية ؟ بمعنى آخر ما هو الأصل التاريخى والطبقى لهذه الظاهرة التخريبية .

الإنتهازية هى نظرية البرجوازية التى إستطاعت أن تتسرب إلى الحركة الشيوعية بقصد تحطيمها من الداخل هى محاولة القضاء على الحركة العمالية الإشتراكية من داخلها بالتشكيك فى قدرة العمال على قلب النظام الحالى وإقامة نظام جديد وبالتشكيك فى صحة النظرية الماركسية

وقد ظهرت تاريخياً عندما تأكدت البرجوازية من فشل النظريات المضادة التى كانت تهاجم الماركسية عند ظهورها ، فالمعروف من تاريخ النظرية الماركسية إنها قد مرت فى العالم بمراحل كانت أحرجها تلك الفترة التى كانت الماركسية فيها مجرد نظرية ، تناقش إمكانيات نجاحها وظروف تطبيقها فى المجتمعات فقد كانت هناك النظريات الإشتراكية الخيالية ، ونظريات إشتراكية الدولة ، إلى جانب النظريات التى تدافع عن النظام الرأسمالى وتبين مزاياه عندئذ ، لما تبين أعداء الماركسية ثباتها وصحتها العلمية ، أصبح واجباً عليهم أن يتخذوا الشكل الماركسى ليحاربوا الماركسية أصبح على البرجوازية أن تدخل فى الحركة الإشتراكية لتحاربها من داخلها ، وهذا هو الأصل التاريخى للإنتهازية

يقول لينين :

".. عندما قضت الماركسية على النظريات المعارضة أخذت الإتجاهات التى كانت هذه النظريات تعبر عنها ، أخذت تبحث عن طريق جديد ، فتغيرت أشكال الكفاح ودوافعه وأن إستمر الكفاح نفسه ومنذ النصف الثانى من القرن الأول ، من حياة الماركسية ، بدأ كفاح التيار المعادى للماركسية من داخل الماركسية .."

- الماركسية ومراجعتها -

قال أيضاً

من جدلية التاريخ إن إنتصار الماركسية كنظرية قد أصبح يرغم أعداءها على التقنع فى صورة ماركسيين ، ومن هنا تحاول البرجوازية الحرة المتعفنة أن تولد من جديد فى صورة الإنتهازية الإشتراكية

- ماركس وتعاليمه -

فالإنتهازيون هم وكلاء الرجعية بين صفوفنا وداخل الحركة العمالية هم البرجوازية الإشتراكية ، إذا كان فى إستطاعة البرجوازية أن تكون إشتراكية ، وهم يأتون الحركة الإشتراكية فى المجتمع الرأسمالى نتيجة لظروف خاصة بهذا المجتمع لن تنتهى إلا بإنهياره ، وهم فريقان

١) فالحركة الإشتراكية فى كل بلد ، تستهوى طائفة من المثقفين من البرجوازية عادة ، ويكون على هؤلاء أن يقدموا النظرية الماركسية إلى العمال المحرومين من الثقافة ، كما يكون لهم بحكم طبقتهم ، وبحكم دورهم القيادى فى الحركة ، تأثير كبير على مصائر الأمور فيها

٢) بجانب البروليتاريا توجد فى كل مجتمع رأسمالى ، طوائف من صغار المنتجين من البرجوازية الصغيرة التى تولد الرأسمالية بإستمرار ، وبحكم

تطور الإنتاج ، تنحدر فئات من هذه البرجوازية إلى صفوف البروليتاريا وهم يأتون البروليتاريا ومعهم نظرتهم القديمة للأمور ، نظرتهم البرجوازية الصغيرة نظرتهم غير البروليتارية

وستظل الإنتهازية فى الحركة الإشتراكية تبعاً لذلك ، ما ظل النظام الرأسمالى ، حتى الثورة البروليتارية

فالإنتهازية هى البرجوازية داخل الحركة الإشتراكية ، تعمل على القضاء على هذه الحركة من الداخل ، وطبيعتها هذه البرجوازية الصغيرة ، تجعلها تبث القلق والتردد والإضطراب فى التفكير الماركسى وتنشر الجهل والشعوذة فى تفسير المجتمع ، والإنتهازية فى البرامج مرتبطة بالطبع فى الأمور التنظيمية ، ولذلك تعمل عادة على الفصل بين النظرية والتطبيق والعمل على التفرقة بين القرارات التى تصدر ، وبين الأعمال التى تنفذ هذه القرارات ، ولا يلبث تخبطها هذا أن يدفعها إلى تغيير التنظيم المتبع ، ثم إلى إعادة تغيير كل ذلك بحجة تثقيف وإعداد الجماهير للكفاح وهى تتبع فى كل ذلك قول زعيم الإنتهازيين (برنشتين) الكفاح هو كل شيء أما الهدف فليس شيئاً مذكوراً

والخلاصة إن الإنتهازية ضد الثورة البروليتارية ، تخشاها كما تخشى الطاعون ، ضد ثورية الطبقة العاملة ، ضد ضرورة الوعى ، ضد فكرة الحزب ، وهى فى سبيل ذلك تتخذ مظاهر مختلفة مثل التلقائية ، وتأييد الفوضوية والنزعة الإقتصادية ، والإتجاه الوطنى ، والدعوة لتعاون الطبقات وإنكار الصراع الطبقى ، وتمجيد البرجوازية الحرة والصغيرة هذه صورة الإتنهازية فى جميع الأحزاب الشيوعية فى العالم ، وقد فرض علينا فى مصر أن نلمسها عن قرب ، فى جميع الحركات الشيوعية التى قامت فى مصر حتى اليوم ، وقد ذكرنا أن هذه الإنتهازية التى تسيطر اليوم هى فريقان ، يمينى مكشوف ويسارى مقنع ، وبين الفريقين مظاهر مشتركة ، وبينهما بعض الخلاف ، وذلك تبعاً للظروف التى نشأ فيها كل منهما

اولاً

الإنتهازية اليمنية

حزب القوات الوطنية الديمقراطية

يمثل هذا الجناح الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، والفجر الجديد وتتلخص نظرية هذا الفريق من الإنتهازين فى المزاعم الآتية

١) نظراً للتقدم الكبير الذى سجلته البروليتاريا العالمية ، وتغير ميزان القوى فى النطاق الدولى ، فإن هذا التقدم أدى إلى تحريك طبقات شعبية مختلفة فى النضال ضد الإستعمار ، وإلى أن طبقات شعبية مختلفة أصبحت مستعدة للسير حتى الإشتراكية

٢) ومن ناحية أخرى ، فإن مصر لا تزال شبه مستعمرة ، وبالتالى فمشكلتها الرئيسية هى المشكلة الوطنية وهذه المشكلة تهم عدة طبقات وليست البرليتاريا وحدها ونستخلص من ذلك أن ، هذه الظروف تجعل إستراتيجية التقدميين فى مصر فى المرحلة الحالية قائمة على أساس الكفاح من أجل الإستقلال والديمقراطية الشعبية (مشروع الخط السياسى البوئسى) وهكذا لم يعد الحزب طليعة البروليتاريا ، وإنما طليعة كافة القوات الوطنية والديمقراطية .(نفس المرجع)

تعتمد هذه النظرية كما هو ظاهر على التطور الذى سجلته البروليتاريا العالمية فقط ، وليس على تطور البروليتاريا المصرية أيضاً ، وتزعم أن هناك طبقات شعبية مختلفة أصبحت تناضل الإستعمار ، وإنها على إستعداد للسير حتى الإشتراكية ، أى إنها فى نفس المستوى الثورى للبروليتاريا تماماً ، فلا صراع بين الطبقات ، وإنما يجب التعاون ، ولا قيادة للبروليتاريا ما دامت كباقى الطبقات ثورية وإستعداداً ، ثم أن المشكلة الرئيسية اليوم هى المشكلة الوطنية ، وهذه المشكلة تهم طبقات آخرى غير البروليتاريا ، فلا كلام عن

الثورة الإشتراكية ، ولا داعى لتخليص المجتمع من بقايا الإقطاع ، ما دام الكفاح غير ضرورى للثورة الإشتراكية .

لم تتخذ الإنتهازية فى بلد من البلاد مظهراً أكثر سفوراً ولا جرأة من هذا المظهر المخزى ، فهى تراجع الماركسية وتعدلها فى جميع مسائل الطبقة العاملة، وكفاح الطبقات وإشتراكية البروليتاريا والحزب الشيوعى

(١)

الخوف من الثورة البروليتارية
وإنكار قيادة الطبقة العاملة لباقى الطبقات

فقد زعم يونس فى مشروع خطة بكل جرأة " أن البروليتاريا المصرية بسبب ضعفها العددى ، وعدم وجود تقاليد كفاحية لها - كذا - وعدم وجود صناعة مصرية ثقيلة - كذا - لا يمكن إعتبارها القوة الرئيسية الثورية فى مصر وبالتالى فالحزب الشيوعى لا يمكن أن يعتبر ممثلاً للطبقة العاملة وحدها ، ولاممثلاً لها أساسياً ، وإنما هو يمثل جموع القوى الديمقراطية والوطنية وعلى رأسها الفلاحون - كذا - !!

هذه الإقتصادية فى التفسير ، هذه المغالطة الجريئة توجد أيضاً عند شندى ، الذى يقرر فى خطة " أن تطور الرأسمالية فى مصر لا بد أن يؤدى إلى تطور فى البروليتاريا ، وبالتالى إلى موجة ثورية (كذا) !! "

ومعنى هذا إن قيام الحزب الشيوعى ونجاح الطبقة العاملة رهن بتقدم الرأسمالية فى مصر أى أن الحركة العمالية تتبع التطور الإقتصادى للرأسمالية ، وعلى العمال أن يذعنوا لتلقائية التطور دون أن يستحثوه بتنظيمات سياسية واعية (أنظر أيضاً كتاب مصطفى هيكل ، كتاب مطالبنا الشعبية) ويدعى عادل فى (مهام الحركة الشيوعية المصرية) إن التناقض الأساسى فى مصر اليوم ، هو بين الجماهير الكادحة وبين الإستعمارية

الإمبرالية ، وإنه لما كانت الأغلبية الساحقة من الجماهير الكادحة هى من الفلاحين ، فإن المسألة الوطنية فى مصر هى فى الجوهر مسألة فلاحين ، وإن الدور الرئيسى لثورتنا الوطنية التحريرية ، هى الثورة الزراعية -كذا-!!!! فالفلاحون لا العمال هم مركز المشكلة الإجتماعية ، والعلاج هو القيام بثورة زراعية ، على نحو الثورة الصناعية والثورة التجارية ، فأين كل هذا من الثورة البروليتاريـــة ؟

لقد علمتنا النظرية الماركسية إنه فى ظروف الكفاح الراهنة تعتبر الطبقة العاملة ، الطبقة الثورية الوحيدة إلى النهاية فى المجتمع ، وإن ثورة الطبقات الآخرى إنما تجىء متقطعة وعلى حسب الأحوال ، وإنه لا يمكن أن تبلغ ثوريتها نفس المستوى الذى تبلغه الطبقة العاملة ، وإن هذه الطبقة هى التى آلت إليها المقاليد فى المجتمع الحالى لقيادة الكفاح ضد جميع أعداء المجتمع ، سواء أكانوا الإستعمار ، أو الإقطاع أو الرأسمالية ، وإنه لا يمكن أن يقوم المجتمع الإشتراكى إلا بثورة البروليتاريا بتحالف فقراء الفلاحين ، وأن الهدف الرئيسى لكل حزب شيوعى ، إنما هو تحقيق سيطرة البروليتاريا

يقول إنجلز فى كلمة جامعة من إنتهازية اليمين فى بريطانيا

".. تمثل عصابة الفابية ، عصابة من الوصوليين لهم من الإدراك ما جعلهم يفهمون إن الثورة الإجتماعية ، ثورة محتومة ولكنهم لا يرغبون فى تركها ، لهذا السبب يعملون على أن يتولوا قيادتها أن الخوف من الثورة هو مبدأهم الأصيل .."

(٢)

العدول عن نظرية الصراع الطبقى إلى التعاون بين الطبقات

من ينكر الطبقة العاملة وثوريتها ينكر حتماً فكرة الصراع بين الطبقات ، ويؤمن على العكس بتعاونها ، أو بضرورة هذا التعاون ، ويعمل على التخفيف من حدة التناقض فيما بينها ، وهكذا ظهرت النظريات الجديدة عن

تجميع القوى الوطنية فى حزب تشترك فيه الطبقات الإجتماعية لا فرق بين عامل وصاحب عمل ، ما داموا جميعاً مستعدين للكفاح ضد الإستعمار ." !! ويترنم يونس فى مقدمته لدراسة القطر المصرى .

".. بالوحدة الجميلة التى كانت بين الطبقات فى ثورة ١٩١٩ .."

ويدفعه عدوله عن مبدأ الصراع الطبقى إلى تبرئه البرجوازية ، وتركيز كل المسئولية على الإستعمار وحده ، فيلتزم تلميذه هيكل بأن (الإستعمار والفقر هما أعداء الشعب) وإذا تحدث يونس عن حرب فلسطين كان الإستعمار ، ولا كلمة عن دور الرجعية المصرية فى هذه الجريمة ، وفى منشور ٢١ فبراير سنة ١٩٤٩ يلقى كل اللوم على الإستعمار ، ولا يظهر مصلحة الرجعية فى التحالف مع الإستعمار ، وبطشها بالشعب والعمال ، وعندما عرضت قضية الإستعمار فى مصر أمام مجلس الأمن فى سنة ١٩٤٧ ، خرج منشور الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى يدعو (جميع الأحزاب والهيئات والنقابات والروابط إلى الوحدة ، وحدة وطنية أكيدة وفوق أى إعتبار حزبى أو شخصى)

إلى هذا الحد ؟ أليس معنى هذا إنه الوحدة من أجل الوحدة والكفاح من أجل الكفاح ، وأين مصلحة الطبقة العاملة التى هى فوق كل مصلحة ؟ ولم يلبث أن إتضح هذا فى النداء الذى وجهته الحركة بأسم الشعب إلى مجلس الأمن ، وعندما حلت الكوليرا بالشعب ، نزلت كتائب الحركة تكافح ضدها لتخفيف من حدة التذمر بين الشعب ضد الحكومة والرجعية ، وكان الواجب على أى شيوعى يفهم ما هى الشيوعية ، أن ينتهز هذه المناسبة ، فيندد بالإستغلال الواقع على الشعب ، ويعمل على إظهار متناقضات النظام القائم ، وبيان إنه لا مخرج منها إلا بالثورة .

قال نجلز فى المرجع السابق -

".. إنهم يمثلون هذه الإشتراكية القصوى للبرجوازية الحرة ومن هنا كان تاكتيكهم ، عدم مكافحة البرجوازية كأعداء ."

وطمس معالم كفاح الطبقات ، ولهم بالطبـــع أنصـــار كثيرون من البرجوازية ، وعندهم تبعاً لذلك كثير من المال !!

(٣)

تحويل الماركسية إلى نظرية إشتراكية وطنية

معنى العدول من الصراع الطبقى والتسليم بتعاون الطبقات ، إنه يجب البحث عن عدو خارجى تركز ضده جميع المسئولية عن متناقضات النظام الحالى ومظالمه ، وقد وجدت الإنتهازية اليمنية هذا العدو فى شكل الإستعمار ورأت أن الكفاح الحالى هو كفاح ضد الإستعمار فقط ، وتشترك فيه مختلف الطبقات جنباً إلى جنب فى شكل جبهة وطنية ، هذا التشويه المقصود للماركسية ولواجبات الماركسين اليوم مبنى على أغفال الإنتهازية لطبيعة الثورة المصرية فى مرحلتها الحالية فلا يجادل أحد فى أن الإستعمار عدو الطبقة العاملة ، وإنه يضر بمصالح بعض الطبقات الأخرى ، وإنه يجب إقامة تكتل ثورى مع الفلاحين والمثقفين للقضاء عليه غير إنه ليس العدو الوحيد ، إنه العدو المسيطر على بقية الأعداء من كبار ملاك الأراضى والبرجوازيين وقد أصبحت سياسته تنفذها الرجعية كلها ، المتحالفة معه ، ويوافق شندى على رأى يونس ، فيقرر أن الإستعمار اليوم قد تركز فى مصر والشرق الأوسط ، وإنه أول من يجب مكافحته !!

ويغلف سليمان إنتهازيته فيزعم (أن حجز الزاوية فى خطنا هو قيادة الكتل الشعبية فى معارك دامية وإلتحامات متتابعة ضد الرجعية والإستعمار) - الخطر - ثم لا يحدد لنا ماهية هذه الرجعية

ويدعى عادل العلم بالماركسية ، فيعلن أن فى مصر إستعماراً بغيضاً وفيها رأسمالية بغيضة ، ويصمت شأن إقرانه من الإنتهازيين فلا يذكر شيئاً عن الإقطاع ، ويطلع علينا فى العدد الثانى من (كفاح العمال الثورى) بالخبر

التالى (علمنا أن الفرنسيين يعتبرون الشعب المصرى يعيش فى ظروف الحكم الإستبدادى الفاشى الذى يسيطر عليه الإستعمار ، وهذا ما يدل على إننا ننحدر دون أن نحس - تحت وطأة حكم رجعى إستبدادى إرهابى) فكيف يريد هذا الزعيم الذى لا يحس أن نحدثه فى الماركسية ؟! أن الطبقة العاملة كلها تعرف إنه منذ إنتهاء الحرب العالمية الماضية ومصر تنحدر إلى عهد فاشى ، يعرف العمال هذا بعد أن دفعوا ثمنه غالباً من أرواحهم وخبزهم وحرياتهم

إن الماركسيين ينظرون إلى الإستعمار بوصفه عقبة كبرى فى طريق الثورة البروليتارية وسيطرتها على الحكم ولذلك فهم يحاربون الإستعمار ليمهدوا الطريق أمام ثورة العمال أما الإنتهازيون فيرون فى الكفاح ضد الإستعمار غاية قصوى وهدفاً أخيراً ، وهم لذلك يفعلون كما تفعل البرجوازية "يجندون العمال لمكافحة الإستعمار إننا نكافح الإستغلال أيا كانت صوره ، وهذه هى ثورية البروليتاريا الماركسية أما هم فيكافحون الإستعمار الذى يضيق على برجوازيتهم الصغيرة فرص الإثراء

قال ستالين فى إنتهازية الدولية الثانية :

كانوا ينظرون للمسألة الوطنية على نحو إصلاحى بإعتبارها مسألة على حدة ، مستقلة ، بغير أن يربطوها بالمسألة العامة الخاصة بسلطة رأسالمال وقلب الإستعمار والثورة البروليتارية

(٤)

الجبهة الوطنية بدل الحزب الشيوعى طليعة البروليتاريا

نتيجة لتركيز تبعة النظام القائم ضد الإستعمار وحده تصل الإنتهازية اليمنية إلى إعتبار الجبهة الوطنية هى وسيلة الكفاح الوحيدة ضد الإستعمار - وتحسن الظن بالطبقات الرجعية فتقبل أن تتحالف معها ، وتترك جانباً فكرة الحزب الشيوعى وضرورة سيطرة الشيوعيين على كل جبهة وطنية . فيعلن

هيكل أن " سبيلنا إلى التحرر من الإستعمار ، هو التكتل والتجمع الدمقراطى فى النقابات والروابط والهيئات حتى نكون جبهة للشعب تقوده فى صراعة من أجل الحرية ".

ويزعم يونس أن الخط السليم هو أن نخرج مبدأ الجبهة الوطنية ضد الإستعمار ، فندعو الجميع إلى الكفاح ضد الإستعمار ونظهر إستعدادنا للدخول مع أى فئات ، ومع أية قيادة مستعدة أن تكافح الإستعمار بل ونتعاون فعلاً معها !! ولماذا لم يتم إنشاء هذه الجبهة منذ إنتهاء الحرب الماضيـة .

يقول يونس " نريد أن ننزل إلى الجماهير على أساس وطنى والماركسية تعلمنا أن نخاطب الجماهير بوصفنا (شيوعيين)نعادى الإستعمار ، يوضح لينين أهمية حزب البروليتاريا كسلاح فى مقاومة الرجعية بنجاح وإن إنكار دور الحزب معناه سيطرة البرجوازية على العمال ، معناه قبول تقوية أيدلوجية البرجوازية بغير أن تقابلها أيدلوجية معارضة للطبقة العاملة ، ويصر ستالين على ضرورة إحتفاظ الحزب بذاتيته فى الجبهة ، وقد أخطأ عادل فإعترف بأن الزملاء " كانوا متأثرين نظرياً بالحزب الشيوعى اليوغسلافى ، " عدد أول من الوعى البروليتارى " ، وقد وقع إختيار الإنتهازية على الوفد بإعتباره الحزب البرجوازى الذى يجب التحالف معه فى جبهة وطنية واحدة ضد الإستعمار وإشتد حماس الفجر الجديد لهذا الرأى ، فراحت تصف الوفد بالثورية ، وغاب عنها أن الوفد لم يكن ثورياً بالمعنى الصحيح إلا فى ١٩١٩ ، وإنه بعد ذلك أخذ يفقد ثوريته شيئاً فشيئاً ، سواء فى كفاحه ضد الإستعمار أو الإقطاع ، وإنه أصبح اليوم تحت قيادة البرجوازية الكبيرة الخائنة التى تخشى أكثر من خشيتها الإستعمار والإقطاع (أنظر موقف الوفد من الكفاح الوطنى ، ضد الإستعمار خلال الحرب الماضية وموقفه من حرب فلسطين وقبوله إعلان الأحكام العرفية وقبوله اليوم إستمرارها من جديد ، تأييده الدائم للحكومة فى

مشروعاتها الإقتصادية التى تميز بين الشعب الفقير وبين الأغنياء فى مسائل الضريبة والعمل وغيرها)

أخذ يونس يقدح ذهنه فى تقريره عن الجبهة أجدى الطرق لإقناعه ، نعم لإقناع الوفد بالدخول فى الجبهة ، وأنظر ما وصل إليه العقل الجبار إن إقناع الوفديين لن يكون إلا بأحد أمرين إما أن ينقلبوا ماركسيين - كذا - فلا يصبحوا وفديين ، وإما أن يقتنعوا من واقع تجربتهم الذاتية ، إننا مصيبون ، يسلمون لنا ويحترمون توجيهاتها وخاصة إذا تواضعنا ولم نحاول الظهور بمظهر المنافس على الزعامة ، والمتعطش إلى الظهور كذا - كذا !!

أرأيتم أيسر من هذين الحلين إما إن يصبح الوفد شيوعياً ، وإما إن ، يصبح الشيوعيون وفديين وهذا هو الحل !!

وقد ترتب على إحلال فكرة الجبهة الوطنية محل الحزب الشيوعى إن أفلحت الإنتهازية فى فرص العلنية بدلاً من السرية ، وإن جارت الحركة الشيوعية باقى الأحزاب البرجوازية فى نشاطها الجماهيرى ، وإتخذت التنظيمات الخارجية هذا الطابع العلنى والشكل الجماهيرى المتميع وإتخذت التنظيمات الداخلية هذا الطابع العلنى ، والشكل الجماهيرى الفضفاض ، وهكذا سادت القانونية ، وأخذ الفجر الجديد يتشدق بأهمية العمل العلنى وأعلن يونس إنه ليس للشيوعيين المصريين إن يخشوا القانون (لأنهم مع القانون) إذ أن الماركسيين لا يريدون قلب النظام الحالى ، وإنما هى الرجعية التى قلبته بتقييدها للدستور والحريات !!

وذهبت مع الريح الثروة النظرية والتجربة العملية للأحزاب الشيوعية فى العالم ، وبخاصة تجربة الحزب البلشفى .

والخلاصة إن الإنتهازية اليمينية تريد (حركة برجوازية شعبية) ، ولكن خاب أملها سريعاً وإنصرفت عنها القواعد وهى تشك فى قدرة هذه الإنتهازية

على النجاح ، وكانت كلما زادت الرجعية حِنكة وعنفاً ، كلما تقدمت القواعد فى إستيعاب النظرية الماركسية ، وكلما تبرمت بهذه القيادات المتعفنة وأخذت فى الإنفصال عنها ، وعندئذ أخذ فريق من الإنتهازية "يزايد على مطالب الحركة الشيوعية ، وإتخذ اللون العمالى وأستعمل كل الألفاظ الشيوعية الممكنة ، تريد بهذه الديماجوجية أن تمنع القواعد المتبرمة من الخروج على التيار الإنتهازى ، وأن تصور لها منظمة جديدة تبرأ من كل ما قالت به الإنتهازية اليمينية ، وغرض الفريقين من الإنتهازيين واحد ، هو مواصلة العمل الإنتهازى داخل الحركة الشيوعية ومنع العمال بأى ثمن من تحقيق ثورتهم بوصفهم زورا بعدم النضج السياسى ، وتلك هى إنتهازية اليسار

ثانياً

الإنتهازية اليسارية

حلقات العمال الإشتراكية

بطل هذه السياسة صوت المعارضة ، وسليمان ، وهذه الإنتهازية يسارية بمعنى إنه بينما كان السادة اليمينيون يتجهون إلى طبقات أخرى غير الطبقة العاملة ، يقتصرا إهتمام اليساريين على العمال ، وعلى العمال وحدهم ، وإنه بينما يضع اليمينيون كل المسئولية ضد الإستعمار ، يحاول اليساريون أن يوجدوا عدواً مختلطاً من الإستعمار والرجعية ، فهم يساريون لابإرادتهم ، ولكن لأن هناك يمنياً إنتهازياً مكشوفاً ، فلا جبهة وطنية منذ اليوم ، ولكن لا حزب شيوعى أيضاً ، وإنما نقابات إشتراكية وحلقات عمال إشتراكية .

وتحت ستار من الألفاظ الخلابة عن كفاح الطبقات وثورية الطبقة العاملة ، وضرورة ثورة البروليتاريا ، ألقت الصوت بنظريتها التخريبية (أن الطبقة العاملة لم تتبلور بعد بطريقة مستمرة ولم ترفع علمها الخاص فى سبيل التحرر) ، وهذه الفكرة إمتداد لفكرة يونس فى إنكارثورية الطبقة العاملة

المصرية ، حينما زعم إن (البروليا ريا المصرية لا يمكن إعتبارها القوة الرئيسية الثورية فى مصر) وهى أيضاً إمتداد لنظرية سليمان الديماجوجى ، حين إدعى فى خطة السياسى إن الطبقة العاملة لم تشترك إشتراكاً بروليتاريا بمعنى الكلمة فى الحركة الوطنية الديمقراطية

فالكل يتخيل أن البروليتاريا لا تزال قاصرة وينصح لها بمرحلة إعداد ووصاية فسليمان يكمل يونس ، والصوت تكمل سليمان ، ولكن الصوت أكثر ديماجوجية وأعلم بطرق الإنتهازية ،تبغى أن تقلل من دور الطبقة العاملة ومن ثوريتها ، ولكن بغير أن تصدم الماركسية أو العمال صراحة وإنما تتحايل وتسوق مبادئها التى تنتهى بالطبقةالعاملة إلى الإنخراط فى حلقات تتعلم فيها الإشتراكية .

إستمع إلى الصوت تقول :" إن الطبقة العاملة لم تتبلور بعد

- ص ١٢ من الخطة -

وإنه يجب أن نركز كل قوانا على الطبقة العاملة حتى يمكن أن تظهر كقوة سياسية فى المستقبل القريب "

- ص ١١ من الخطة -

ولكن ما هو دليلكم على ذلك .

فى مقال بالعدد ٢٣ من صوت المعارضة حاول اليساريون أن يردوا فلم يجدوا دليلاً ، فكذبوا وزعم فائلهم أنه ليس للشيوعين منظمة نامية من عمال المدن ، وأنه لم ترتبط الاشتراكية بحركة الطبقة العاملة ونسى حضرته أن الانتهازية هى المسئولة من ذلك وليس الطبقة العاملة وزعم أيضا أن الكفاح الذى تقوم به الطبقة العاملة لم يأخذ فى أى لحظة شكل صراع منظم مستمر !!

وتلك هى دعواهم الرئيسية الطبقة العاملة لاتزال قاصرة ومصيبة الصوت ليست فى كذبه فحسب ، ولكن فى تناقضه مع نفسه ، فهو مضطرب قلق متردد حتى فى انتهازيته . وبعد أن ذكر ان هذه البروليتاريا المسكينة لم تنضج بعد سياسيا ، أعلن ، معجزته ، وهى أن الصوت " سيؤدى بعمله الى ظهور الطبقة العاملة كقوة سياسية " وأذن فليس على الشيوعيين المخلصين الا ان يعهدوا بالطبقة العاملة الى هذا الصوت الخافت ، فهو الكفيل باعدادها بغير ذلك لن تنضج الطبقة العاملة وهى الان غير ناضجة ومن سوء حظ الصوت انه عاد فقرر عكس ذلك بالمرة فى قراره الخاص بالنقابات ، فنراهم فى ص ٣٨ يقررون أنه " فى حركة ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ ، حينما قام العمال بالمطالبة بعدة مطالب أقتصاديه ، وذلك بسبب اشتراكهم فى الحركة الوطنية كانت أنسب الظروف لربط الحركة الاشتراكية بالحركة العمالية وتحويل الحركة العمالية الى صراع سياسى للبروليتاريا ، ولكن هذا لم يتم نتيجة لسيطرة الانتهازية على الحركة التقدمية .

واذا كنا نستطيع أن نفهم هذا الكلام ، فمعناه أن بين عامى ١٩٤٢ الى عام ١٩٤٥ كانت الحركة العمالية قوية ، وكانت تلك أنسب الظروف لتوحيد الكفاح الثورى وتحويله الى صراع سياسى للبروليتازيا . غيران هذا لم يتم (نتيجة لسيطرة الانتهازية على الحركة الشيوعية) .. وليس لعيب فى العمال ، الذين أظهروا على العكس رغبتهم فى تحويل الكفاح الى كفاح سياسى ، فالسبب خارج عن مجرى الحركة العمالية التى ظلت ولا تزال قوية ناضجة وفى وضع آخر ص ١٩ يؤكد القرار الوعى العمالى فيقول " نلمس ذلك فى أحاديث العمال حيث اذا واجهتهم بضرورة الكفاح ضد هجوم أصحاب المصانع ، كان ردهم أننا نعلم تماما بهذه الضرورة ونحن على أستعداد للقيام بأى عمل ، ولكن نريد التوجيه نريد أن نعرف ما الذى علينا عمله !! "

فأين ذلك من عدم تبلور الطبقة العاملة ، وعدم ظهورها كقوة سياسية لقد نسى هؤلاء السادة ، أن ما يطلبه العمال من توجيه هو مهمة الحزب الشيوعى .

لا غيره من المنظمات إن الإنتهازية اليسارية تيار خطير ، نظراً لإنه يتوسل بكافة الطرق الديماجوجية ، ولإنه كثيراً ما يتخذ الثوب الشيوعى البرىء ، وهو يعدل الماركسية ويحطم الحزب الشيوعى من النواحى الآتية :

(١)

تأجيل الحزب الشيوعى وإنكار الثورة البوليتارية

الإنتهازية تخاف العمال وتخشى ثورتهم الإشتراكية ، وتعمل على تأجيلها أو تحطيمها واليساريون يحاولون هذا المسعى عن طريق إيهام الطبقة العاملة بأنها لم تنضج بعد ، وإنه يلزمها لذلك أن تجوز مرحلة إعداد وتحضير ، ويعنى ذلك تأجيل وإرجاء تكوين الحزب الشيوعى ، تأجيل وإرجاء الثورة البروليتارية ، معنـاه الخوف من الثورة البروليتارية ، ومحاولة منعها بكل الطـرق .

ولقد رأينا فيما سبق أن الطبقة العاملة أظهرت وعياً طبيعياً نامياً تطور بوضوح فأصبح وعياً سياسياً جعل منها قوة سياسية تهتم بشئون باقى الطبقات ، وتثور لأنواع من الظلم تحل بباقى الطبقات قبل أن تنزل بالطبقة العاملة نفسها وليس من الضرورى أن تشمل الحركة الشيوعية جميع العمال ولا أغلبهم ، فمن المؤكد إن الإنتهازيين يخلطون بين حزب الطبقة العاملة طليعة هذه الطبقة ، وبين الطبقة نفسها فإنه يمكن تنظيم هذه الطليعة قبل أن تنظم الطبقة كلها وبإعتراف الإنتهازيين قد أثبتت الطبقة العاملة قدرة على تحويل الكفاح فى ٤٢ ٤٥ ، إلى صراع سياسى فهل من الصعب فى عام ١٩٤٩ تنظيم طليعة هذه الطبقة فى حزب شيوعى ..؟

ليست الطبقة العاملة هى التى لم تتبلور بعد ، بل هى فكرة الإنتهازية عن الطبقة العاملة ، وعن حزبها الشيوعى ، هى التى لم تتبلور ولا يمكن أن تتبلور.

قال لينين :

".. من السذاجة الإعتقاد بأنه يمكن لأغلب الطبقة العاملة أو كلها الإرتفاع فى ظل الرأسمالية إلى درجة إكتساب مستوى الوعى والنشاط الخاص يكتيبه طليعتها الخاص بحزبها

- خطوة -

وقد حدث فى سنة ١٨٩٤ أن إتخذت الحركة الشيوعية فى روسيا قراراً بقصر نشاطها على العمال ، وكتب لينين عن أن هذا القرار إتخذ فى وقت كان الشيوعيون فيه ضعفاء لدرجة تدعو للدهشة ، وإنهم كانوا يعدون على الأصابع ، وإنه بعد أن أصبحت الشيوعية معروفة لجمهور أكبر ، صار القرار ضاراً بالحركة وألغى !!

- خطوة -

ونستخلص من هذا أن الإستمرار فى السياسة اليسارية معناه إن عدد الشيوعيين فى مصر لا يزال يعد على الأصابع ، وإنهم ضعفاء لدرجة تدعو إلى الدهشة فهل هذا صحيح .؟

إن الإصرار على الزعم بعجز الطبقة العاملة وعدم كفاءتها ، معناه تأجيل تكوين الحزب الشيوعى ، وهذا معناه ترك الطبقة العالمة بدون سلاحها الوحيد فى كفاحها ضد أعدائها ، ومعناه الأخير إرجاء الثورة البروليتارية ، وعدم التفكير فيها

قال لينين :

فى جميع الأحزاب يؤيد الجناح الإنتهازى ويدبر كل تأخير فى موضوع البرامج ، أو التاكتيك أو التنظيم

- خطوة -

وأخيراً فإن قصر النشاط فى هذه الفترة على مجرد "تدريس" العمال معناه إهمال الفلاحين والجوانب الأخرى الثورية فى المجتمع ، مع إن المهمة التالية لتكوين الحزب الشيوعى يجب أن تكون التخلص من بقايا الإقطاع وتمهيد الظروف لإستيلاء العمال على الحكم .

(٢)

تلقائية إكتساب الوعى الإشتراكى

وقد أدى بهم التقليل من شأن الطبقة العاملة إلى التضييق من وجودها الواعى ،وتركها وشأنها حتى تنضج ، والنتيجة الحتمية لهذا أن تظل الحركة الإشتراكية بعيدة عن الحركة العمالية إلى الأبد ، لأنه لا يمكن للعمال بمفزدهم أن يصلوا إلى مرتبة الوعى الإشتراكى الصحيح

ويعنى هذا أن إنتهازية هذه الفئة قد وصلت بها إلى التلقائية التى هاجمها لينين بكل عنف ، فإذا كانت الإنتهازية اليسارية ترى فى الطبقة العاملة الحالية كياناً غير أهل للثورة البروليتارية ، فهل نتركهم وشأنهم حتى ينضج وعيهم فنؤلف منهم الحزب الشيوعى إن هذه تلقائية جريئة لا يبررها إلا المستوى البرجوازى الذى يعيش فيه هؤلاء الإنتهازيون ويفسرها أيضاً تكوينهم الثقافى وجهلهم التام بالواقع المصرى وإستعداد العمال

قال لينين فى المثقفين

لا ينكر أحد أن ما يميز المثقفين بصفة عامة كجانب خاص من المجتمع الرأسمالى الحاضر ، هو على وجه التحديد فرديتهم وعدم قدرتهم على النظام والتنظيم ، وهـذا ما يفسـر ميوعتهم وعدم إستقرارهم

بينما يقول لينين فى العمال

إن النظام والتنظيم اللذين يجد المثقف كل صعوبة فى إكتسابهما ، إنما يتمثلها العمال بكل سهولة ، يفضل المصنع

إن دور الحزب الشيوعى هو بالضبط إعداد العمال وتدريبهم ، وتحضيرهم هو إعداد طليعة الطبقة العاملة ، وتحضيرها على أسس إشتراكية ، ومعنى هذا إننا نربى فيهم الوعى ، الوعى الثورى لا يمكن أن يقوم به إلا الحـــزب الشـــيوعى .

قال ستالين :

".. نظرية التلقائية ، هى نظرية الإنتهازيّة ، نظرية عبادة تلقائية الحركة العمالية ، نظرية إنكار الدور القيادى لطليعة الطبقة العاملة ، إنكار حزب الطبقة العاملة .."

والوعى الإشتراكى لا يأتى إلا من خارج الطبقة العاملة ، إما إذا ترك العمال وشأنهم فلن يصلوا لغير الوعى المهنى أو الطبقى أو النقابى

إن القول بأن تضم المنظمة الشيوعية عمالاً ١٠٠٪ هو نقابية فريدة

قال لينين :

".. أنصار الحركة العمالية البحتة ، مضطرون فى دفاعهم عن موقفهم إلى إستعمال حجج النقابين البرجوازيين ، ويؤدى هذا فى النهاية إلى زيادة وطأة الأيديولوجية البرجوازية على العمال .."

وقال أيضاً

".. إن الوعى الإشتراكى لا يمكن أن يقوم إلا على أساس من المعرفة العميقـــة ، وحملة العلم ليســـوا البروليتاريا بل هـــم المثقفون البرجوازيون .."

ثم ما هى المعرفة السياسية التى يجب أن تتوافر للعمال ،ما هو الوعى السياسى الذى يجعل البروليتاريا قوة سياسية .

إنه إستنكار البروليتاريا لجميع مظاهر الظلم والعسف التى تأتيها الرجعية بغض النظر عن ضحيتها

وعى العمال السياسى هو إستجابتهم لشكوى الطبقات العمالية وغير العمالية . والشيوعيون مرغمون فى سبيل ذلك على التوجه إلى جميع الطبقات وإقامة إتصالات واسعة معها.

قال لينين :

".. يجب على الإشتراكيين لكى يحملوا المعرفة السياسية إلى العمال ، أن يذهبوا إلى جميع طبقات الشعب ، وأن يبعثوا بكتائبهم فى جميع الجهات ، علينا أن نذهب إلى جميع الجهات كأصحاب نظرية كدعاة ، كمثيرين ، كمنظمين أما الحركة العمالية التلقائية فلا تنتج إلا النقابية ، والسياسة النقابية فى الطبقة العاملة هى بالضبط سياسة البرجوازية فى الطبقة العاملة .."

وتلتقى التلقائية هنا مع التيار الإقتصادى الذى ظهر فى الإشتراكية الروسية قبل الثورة ، والذى يمثله عندنا شندى وجماعته فالواقع إن جوهر الإقتصادية هو التسليم بالتلقائية ، وقد ذكر تاريخ الحزب البلشفى إن التلقائيين كانوا يزعمون إن الإشتراكيين غير ملزمين بحمل الوعى الإشتراكى إلى الطبقة العاملة ، إنما عليهم أن ينتظروا أن تكون الحركة التلقائية للعمال ، وعيهم الإجتماعى بصفة خاصة .

(٣)

تحطيم ثورية الطبقة العاملة

إن القول بتأجيل تكوين الحزب الشيوعى ، والتسليم بتلقائية إكتساب الوعى الإشتراكى ، معناه عدم رفع المستوى الثورى للطبقة العاملة وإبقاؤها على جهل بأسباب ومتناقضات النظام الحاضر . معناه كبت عوامل الثورة على هذه المتناقضات ، معناه تحطيم ثورية الطبقة العاملة .

وتحطيم ثورية الطبقة العاملة سياسة مشتركة فى الواقع بين جميع الإنتهازيين ، ولكنها بينما تأتى صريحة مكشوفة يدركها الواحد لأول وهلة لدى الإنتهازيين اليمينيين ، إذا هى عند الإنتهازية اليسارية ملتوية مقنعة ، ترد فى أثواب من النفاق والديماجوجية ، حتى لتبدو بريئة بل وثورية للشخص غير البصير فمن السهل الإدعاء بأن الطبقة العاملة قاصرة اليوم ، وستكون رشيدة غداً - ولكن وراء هذا يجب التسليم حتماً بأن هذه الطبقة مكتوب عليها لقصورها أن تمر بمرحلة وصاية تكون فيها وطأة الرجعية مطلقة عنيفة وليس من قوة تقاومها - ومعنى هذا فى النهاية تأجيل الحزب الشيوعى وإنكار الثورة البروليتارية ، وبالتالى إبقاء الطبقة العاملة بغير سلاح ، معناه تحطيم عوامل الثورة فى العمال ومن السهل الإدعاء بكل براءة إن مرحلة الوصاية على الطبقة العاملة مقصود بها تكوين الحزب الشيوعى بأقصى سرعة ولكن يمكن وراء هذا التسليم حتماً ، سيطرة النقابية على الحركة العمالية لإنه إما أن تقوم منظمة الصوت بتعليم الماركسية ، وإتخاذ صورة حزب شيوعى مصغر وحينئذ لا حاجة إلى مرحلة إعداد الوصاية ، وتبطل كل حجة الصوت واما إن تعطى للعمال أشياء من الماركسية ، وتمنع عنهم أشياء فتشيع بينهم سياسة عرجاء وثقافة متوسطة تفضى بهم إلى النقابية وليس إلى الثورة ومن السهل الخروج ببيان فى ٢١ فبراير ١٩٤٩ تنادى فيه بإلغاء الأحكام العرفية، ولكن لنفرض جدلاً إن الحكومة إستمعت لنداء الصوت المؤثر وقبلت طواعية إلغاء الأحكام العرفية ، فهل معنى ذلك إنتصار القضية الإشتراكية ، بالطبع لا ولنفرض هذا هو ما حدث ، وما كان يتوقعه كل ماركسى - إن الحكومة واصلت سياستها العرفية ، وأطالت حياتها ، فهل معنى ذلك القضاء علينا وعلى قضية الإشتراكية ، بالطبع لا

إقرأوا هذا البيان :

إلغوا الأحكام العرفية فوراً حتى يرفع المستغلون أسلحتهم من فوق صدورنا ، وليقفوا لنتصارع وجهاً لوجه - ألغاء الأحكام العرفية فوراً لنكافح فى سبيل جقوقنا الإنسانية بدون أن نلقى فى السجون ، والمعتقلات لتقتلونا - إلغاء الأحكام العرفية التى تسمح للمستغلين ببيع بلادنا للإستعمار لنرغم البرلمان أن يصوت ولو مرة واحدة لصالح الشعب

معنى هذا البيان هو تعليق كفاح العمال على إلغاء الأحكام العرفية معناه هو تركيز كل قضيتنا فى إلغاء الأحكام العرفية ، فإذا لم تلغ الحكومة هذه الأحكام ، قل حماس العمال الذين كافحوا فى سبيل إلغائها .وإنخفضت ثوريتهم وكلنا يعلم إن الأحكام العرفية سلاح ، وسلاح خطير بيد الرجعية ، ولكنها ليست كل شىء ، ولكنها ليست سوى سلاح بيد الإستغلال والإستغلال قائم سواء ألغيت الأحكام العرفية أو لم تلغ فالعدو الذى يجب توجيه الكفاح ضده هو الإستغلال ، هو النظام القائم بجميع أركانه ، فهذا النظام هو الذى يضع أسلحته فى صدورنا ، وهو الذى (يمنعنا من الكفاح فى سبيل حقوقنا) وهو الذى يبيع بلادنا للإستعمار ، وهو الذى صنع هذا البرلمان (الذى لا يمكن أن يصوت ولا مرة واحدة لمصلحة الشعب)

إذا لم نوضح هذا كله للشعب وللطبقة العاملة ، وإذا تكلمنا عن الأحكام العرفية بوصفها كل شىء ، وطلبنا إلغائها كهدف لنا - وكلنا يعلم إن إلغائها بالنسبة للشيوعين مستحيل - فمعنى ذلك إننا نلقى بالإضطراب فى صفوف العمال ، ونلقى اليأس فى قلوبهم ، ونهبط بهم من ثورية واعية إلى الإستسلام البغيض ، معناه تحطيم ثورية الطبقة العاملة ، هذه هى سياسة الإنتهازية

اليسارية ، تكوين حلقات عمال . إشتراكية ، نقابية إشتراكية ، وهذا ما يميزها عن الإنتهازية اليمينية التى تريد حزباً بورجوازياً شعبياً

نقابية إشتراكية وبرجوازية - لا ثورة بروليتارية - تلك هى سياسة الإنتهازية فى مصر ، وبين الفرقتين مظاهر مشتركة تجمع بينهما ، يفسرها العمل البرجوازى لجميع هؤلاء المغامرين .

ثالثاً:

سياسا إنتهازية مشتركة

(١)

إنكار اهمية النظرية نظرية الطليعة

وصف ماركس الإنتهازيين بأنهم أصفار فى النظرية ، وقد علمنا إن النظرية تصبح قوة مادية بمجرد إنتشارها بين الجماهير ، ولذلك فلكى نستطيع التأثير على ظروف الحياة المادية فى المجتمع لكى نعجل نموها وتحسنها يجب على حزب البرليتاريا أن يستند إلى نظرية إجتماعية تعبر بالضبط عن حاجات النمو .

قال ستالين :

يفسر سقوط الإقتصاديين والمنشقيك بأنهم ، لم يكونوا يعترفون بالدور التجنيدى والتنظيمى والتحويلى لنظرية الطليعة .أما وقد سقطوا فى المادية التافهة ، فقد إنقصوا هذا الدور تقريباً إلى الصفر.." وهكذا كان الإنتهازيون فى مصر ، عمد بعضهم مثل يونس إلى إحتقار النظريات

وإنكار أهميتها ، وإلى القول بأن المهم هو " الكفاح " ولكن أى كفاح يا سادة ، وعلى النقيض من هؤلاء ظن سليمان والصوت إن المغلاة فى تثقيف العامل وإرهاق ذهنه بكل ما قاله ماركس وإنجلز ولينين وستالين هو الشرط الضرورى ليكون عضواً شيوعياً

والإتجاهان إنتهازيان بلا مراء ، فبينما يسعى الأول إلى جعل العامل "صفراً " فى النظرية وفى العمل ، يرمى الآخرون إلى أن يكون عالماً " فى الشيوعية ، وهو أمر مستحيل بالنسبة لأغلبية الطبقة العاملة المحرومة فعلاً من كل ثقافة - وينتهى هذا بالعامل إلى بغض النظرية الماركسية والنفور منها - ناهيك عن الجهل الشائع فى القيادة بأهم مبادىء الماركسية ، والقلق والإضطراب فى الكلام عنها

كتبت صوت البروليتاريا فى أول إعدادها مقالاً عن البروليتاريا فجاء على طريقة المختار (الماركسية فى مقال) الفكرة فيه مرتبكة ، هو مفكك الأجزاء ، أسلوبه ركيك تجد فيه إنتقالاً مفاجئاً من فكرة إلى فكرة

قال لينين :

تنحصر الإنتهازية فى إنعدام المبادىء المحددة الثابتة .."

- ماذا نفعل -

والإنتهازى بطبيعته يتجنب دائماً وضع المسائل بطريقة واضحة حاسمة .."

-خطوة -

وترتب على ذلك أن أصبحت الحركة الإشتراكية جامدة لا تنتفع بخبرتها الخاصة ، ولا تجدى تجاربها فى تثقيف الأعضاء وتعليمهم التكتيك الثورى

قال ستالين فى الإنتهازيين

بدلاً من تثقيف الحزب وتعليمه التكتيك الثورى السليم وذلك بالإستفادة من أخطائه كانوا يستبعدون المسائل الحرجة صحيح إنهم لكى يحتفظوا بالمظاهر لم يكونوا يرفضون المناقشة فيها ولكنهم كانوا ينتهون منها إلى قرارات مطاطة .."

(٢)

إنكار المادية الجدلية فى تفسير المجتمع

مظهر آخر من مظاهر الإنتهازية هو أن تنكر التفسير المادى الجدلى للمجتمع ، والتاريخ ، فتفضى إلى تفسير برجوازى ، يشدد قبضة التفكير البرجوازى على رقاب العمال ولا يساعدهم فى كفاحهم اليومى أو العام ومعنى ذلك أن صراع الطبقات ليس هو المرجع الآخير فى التفسير ، فالتفسير عند شندى إقتصادى لا مادى ولا جدلى

تكفى أن تنمو الرأسمالية فى مصر حتى تعم موجة ثورية

- الخط -

أى يكفى أن ينشىء عبود مصنعاً جديداً حتى تقوم ثورة البروليتاريا إما يونس فهو فيلسوف برجوازى قانونى ، ضد العنف وطرقه إستمع إليه فى تفسير ثورة ١٨٨١ .

وقد أدى البؤس الشديد إلى تفكك مالية الدولة وإلى حدوث إنقلاب حكومى يائس هو ثورة عرابى

- مقدمة لدراسة مصر -

رأيتم أبدع من هذا مالية الدولة هى التى تفككت وليست هى فكرة إنهيار الإقطاع إما ثورة ١٨٨١ البرجوازية الشعبية فهى إنقلاب حكومى يائس ، ولا ندرى كيف يكون الإنقلاب حكومياً ، أى من صنع نفر قليل ويكون فى نفس الوقت ثورة ، أى إنقلاباً شعبياً

ويونس فيلسوف قدير فالإستعمار البريطانى دخل مصر نتيجة لهذه الثورة ولهذا فهمنا كيف ولماذا أصبحت مصر مستعمرة إنجليزية واللوم كل اللوم على عرابى وإنقلابه الحكومى اقرأه يقول

وقد مدت هذه الثورة الإنجليز بذريعة يتذرعون بها لإكمال سيطرتهم على البلاد وإحتلالها عسكرياً

وإذن فلم يكن دخول الإنجليز نتيجة لتحالف الخديوى الإقطاعى مع الإستعمار ، ورغبة الإقطاع والإستعمار معاً فى القضاء على البرجوازية المصرية الناشئة

وهناك عبقرى من عباقرة الماركسية غير معترف به ، هو سليمان تعرض لأزمة الحركة الشيوعية فى مصر ، فجدد فكرتنا عن الماركسية

أتسأل عن السبب فى أزمة الشيوعية إنه فى الإنتهازية الإقتصادية والطفولة السياسية " كلمات مرصوصة جوفاء

وتستزيده علماً فتعلم " أن الإنتهازية شيء سياسى - كذا - يقصد به تضحية مصالح الطبقة العاملة الأجلة فى سبيل مكاسب عاجلة " فهل كانت مواقف الإنتهازيين المصريين مكسباً عاجلاً للطبقة العاملة .

وبدلاً من هذا التعريف اللغوى ، أين هو الأساس التاريخى والطبقى لظاهرة الإنتهازية يزيدك سليمان علماً فيقول :

".. قد يكون الإنتهازى رجلاً مخلصاً ، أميناً لا ينظر إلى مصلحة نفسه " يعنى مثلك يا سليمان أرأيت إنتهازياً برجوازياً عدواً للماركسية والطبقة العاملة مخلصاً أميناً لا ينظر إلى مصلحة نفسه ،وإذن فما سر وجوده فى صفوف الطبقة العاملة .."

وليس هذا كل ما عنده ، فسليمان يعلمنا أن " الإنعزالية " والوقوع فى التلقائية ، ظواهر مختلفة لشيء واحد ، هو إنه لا نفوذ لنا فى الجماهير

والحقيقة هى أن إنعدام نفوذنا فى الجماهير ليس إلا مظهراً للإنعزالية والذيلية والوقوع فى التلقائية . و سليمان يعلم أن (الإنتهازية الإقتصادية يتبعها دائماً النشاط الإرهابى والإستفزازى) أى أن الإقتصادية تلد الإرهاب وتولده هل سمعتم بهذا من قبل ؟ إن الإقتصادية والإرهابية مظهران مختلفان للتلقائية ، إن علاقة الإقتصادية بالإرهابية هى صلة النوعين المختلفين من جنس واحد كصلة الإنسان والحمار بالنسبة للحيوان قليلاً من المنطق العادى يا سليمان ، إن أعوزتك مبادىء الجدلية وللصوت تفسيرات جريئة ١٠٪ وهى معذورة ، فكيف يتسنى لأجانب برجوازيين أن يفسروا مصر طبقاً لمبادىء الصراع الطبقى ومصالح البروليتاريا ثورة عرابى عندهم هى " واقعة تاريخية هامة " .

- الخط -

ثورة ١٩١٩ " هى ثورة تلقائية " ولا أدرى كيف وصلوا إلى هذه النتيجة المخزية ، وتصرخ الصوت بإنه عندما نشأت البرجوازية المصرية ، قام بينها وبين الإستعمار تعاون وتضامن " وكلنا يعلم أن التاريخ العادى يكذب هذا الدعاء ، وإذا كان للصوت أن تجهل الماركسية ومبادىء المادية الجدلية ، فإن الجهل بالتاريخ لا يغتفر

إن الإنتهازيين فى مصر على جهل مطبق بتفسير الواقع المصرى ، وإنهم يسترون هذا الجهل بصمتهم عن الكلام فى هذا الموضوع إلا نادراً بينما كان يجب على العكس ، إن يتخذوا الواقع المصرى أساساً لكل تكتيك ثورى لحزب الطبقة العاملة ، وهذا النادر القليل الذى يقولون لا يلبث أن يكشف عن أخطاء فاحشة ، وعن أصل برجوازى عميق . فهو عادة تفسير غير جدلى غير مادى ، وهو ضد التاريخ

(٣)

سياسة إستعمارية بالنسبة للسودان

نعلم جميعاً إن السياسة الماركسية إزاء مشكلة الإستعمار ، مبنية على فكرة حق الشعب المضطهد فى الإستقلال والسيادة قد يختار هذا الشعب الإنضمام إلى الشعب الذى تضطهده دولته ، ولكن هذه هى رغبته ، ولا تؤثر مطلقاً فى دعايتنا عن حق تقرير الشعب المضطهد فى أن ينفصل ويستقل فماذا يرى الإنتهازيون فى مشكلة السودان ؟ أما اليمينية فقد خرجت على الناس بشكل رخيص من الإستعمار . فهى ترى أن

".. هناك وحدة بين قضية مصر ضد بريطانيا وقضية السودان منا .."

وكانت هذه الوحدة توجب أن يكون الحل متحداً بالنسبة للبلدين ، فإذا طلبت لمصر إستقلالاً طلبت أيضاً للسودان ولكن حدث العكس ، فطلبت الحركة الديمقراطية - كالبرجوازية الإستعمارية المصرية - التسليم بوحدة الأمانى والمصالح المشتركة ، الإقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والروابط التاريخية التى تربط مصر بالسودان ، وإن تكون مصر وصية على السودان فى مرحلة إنتقالية - كذا - كذا

هذا الكلام يغنى عن كل تعليق . فإن تصوير الوحدة على النحو السابق يوجب - طبقاً لنظرية ستالين فى الأمة - أن يتحد الشعبان لإنهما يكونان أمة واحدة ، وهذه هى الإستعمارية المكشوفة

إما الإنتهازية اليسارية فقد طالبت للسودان " بوحدة فيدرالية مع حق تقرير المصير للسودان " هل يمكن أن يجتمع النقيضان معاً الوحدة مع مصر وحق تقرير المصير للسودان ؟ هل يمكن لشيوعى الدولة الإستعمارية أن يطالبوا بوحدة الشعب المستبعد مع شعبهم ؟ هل للإستعمار إسم اخر غير هذه الوحدة ؟

ما الفرق بين الوحدة الفدرالية وبين الوحدة التى تتكلم عنها الرجعية الإستعمارية ؟ الواقع إن الصوت لا تريد للسودان إنفصالاً ، وإن الإنتهازية لها إسم آخر هو الإشتراكيةَ الوطنية

قال لينين :

لنا الحق بل علينا الواجب فى أن نعتبر إستعمارياً كل إشتراكى فى البلد الإستعمارى لا يقوم بالدعاية لحق الشعوب المضطهدة فى حرية إنفصالها ، أو لا يدافع عن هذا الحق

- من مقال عن خلاصة الجدل حول حق الشعوب فى تقرير مصيرها -

(٤)

سياسة ديماجوجية مع العمال

الإنتهازية هى البرجوازية المعادية للعمال ، وتلك هي عقدة الإنتهازية وأصلها هذا يؤثر كثيراً فى طرق مخاطبتها للعمال ، فتراها تلجأ لكل أساليب الخداع والتمويه بقصد إستمالة العمال ، وقد تجلى هذا بوضوح فى مصر ، ورأينا من الإنتهازيين ما يقصد المزاد من سياسة تعميل القيادة إلى سياسة عمال ١٪

فعندما تأكد للقواعد أن سياسة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تسير بهم نحو حزب فوضوى من البرجوازية تضيع فيه ذاتيتها الإشتراكية إضطرت القيادة أن تعمل على إسترضاء العمال بتوليتهم أغلب مراكز القيادة ، حتى لو لم يكونوا يعلمون من الشيوعية إلا إسمها ، لماذا لأن هناك سياسة تعميل القيادة .

ولماذا هذه السياسة لا لشىء إلا تدمير كل شىء نحن نعلم إن العمال هم الطبقة الثورية الوحيدة إلى النهاية ، وإنهم أصلح طبقة لقيادة المجتمع ولكن بشرط أن يكونوا ماركسيين ، فإن لم يكونوا ماركسيين لم يرتفع وعيهم عن مستوى النقابية سواء كانوا فى القيادة أن فى القواعد ، بل أن وصولهم وهم على هذا النحو إلى القيادة معناه الإضرار بكل الحركة الشيوعية

فكيف يمكن أن تفهم ما يشترطه عادل فى منظمته من وجوب" أن تحوى الأجهزة المركزية وخاصة المؤتمر واللجنة المركزية شبكة عالية من الكادر العمالي بحيث لا تقل على النصف

فماذا تفعل المنظمة إذا لم تجد هذه النسبة ؟ هذه هى الإنتهازية الصارخة .

وسياسة إلـ ١٠٠٪ من العمال مظهر آخر لهذه الديماجوجية ، لهذا الخداع والتضليل ، وقد سبق أن كشفنا ما تؤدى إليه هذه السياسة من حرمان العمال من كل ثقافة ماركسية ، ومن الإستسلام لتلقائية إكتساب الوعى الإشتراكى ، وهذا كله بعيد عن أن يخلق حزباً شيوعياً

(٥)

الدعوة إلى الوحدة تغليب الإنتهازية

من المعقول أن تقف بعض المنظمات من بعض موقف المعارضة لإختلاف على أمور جوهرية ومن المعقول عندئذ أن يوجه بعضها لبعض الدعوة إلى الإتحاد ، وتأتى الوحدة نتيجة لتسوية الخلافات غير الجوهرية ، والإتفاق على خط سياسى واحد إما إن تصف كل منظمة المنظمة الآخرى بالإنتهازية والتروتكسية إلى آخر ما هنالك من السباب ، ثم تأتى فى السطر التالى فتدعوها إلى الوحدة معها - فهذه مهزلة - يقول لينين :

إن الحركة الشيوعية تتدعم بطرد الإنتهازيين ".. فكيف تدعونهم للإشتراك ، بل للإتحاد معكم إن كنتم تعتبرونهم إنتهازيين ؟ يقول ستالين .

".. نظراً لطبيعة الإنتهازيين البرجوازية الصغيرة وميلهم إلى المهادنات فإنهم يجارون البرجوازية ، ويجاريهم غيرهم من الإنتهازيين إبقاء على الوحدة ، والنتيجة هى إن تتغلب الإنتهازية "

من المثير أن نرى عادل لا يدخر شيئاً فى الهجوم على الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، ثم يأتى بعد ذلك فيزعم بكل جرأة إنها الحركة الشعبية الوحيدة فى مصر ، وإن إنتهازيتها لا تقلل من شيوعيتها

- الكادر -

من المثير أيضاً أن تكتب الصوت عن " الإنتهازيين " وكلاء الرجعية فى صفوفنا ، هم محطموا الحركة التقدمية " ثم تدعوهم فى السطر التالى إلى الوحدة ، ثم تتحسر على إنهم لم يقبلوا الوحدة . وتصرح حرفياً " بأن الصوت قد إقترح على الإنتهازيين أن يدخلوا القاعدة المشتركة فرفضوا "

إنا نأبى أن تستمر هذه المهزلة ، أو إن نشترك فيها ، ورأينا فيها هو رأى الماركسية

نحن لا نخاطب هذه المنظمات الإنتهازية بوصفها منظمات ، ولكن نخاطب قواعدها جميعاً ، ندعوها إلى الإعتراف بخطئها ، وإلى نبذ سياستها القديمة ، والإشتراك فى عمل شيوعى صحيح ندعو هذه المنظمات كأفراد إما الوحدة فلا تكون إلا بين منظمات شيوعية ، وإما الإتحاد مع المنظمات الإنتهازية القائمة فمعناه سيطرة الحركة الإنتهازية على الحركة الشيوعية فى مصر إلى أمد طويل

وآخر جرائم الإنتهازية ما كتبه شندى وجماعة العادلين فى يوليو الماضى (١٩٤٩) عن الطبقات فى مصر ، وفى هذه المرة نرى الفريقين متحدين فى أغلب الرأى ، فالإستعمار هو عدوها الألد ، وإليه ترجع جميع مصائب الشعب دون البرجوازية والإقطاع المصريين ، ينطلق شندى فى مغامرته الإقتصادية ، ويصيبه كابوس الإستعمار فيفسر به كل حدث يكتب فى صفحة ١٧

".. إن البرجوازية المصرية فى عام ١٩٢٤ قد هجرت الثورة لتتجه فى طريق التهادن مع الإستعمار .."

بغير إشارة إلى الأسباب الداخلية الخاصة بكفاح الطبقات فى مصر وهى التى دفعت إلى هذا التهاون قبل غيرها

ويزعم فى نفس الوقت إن تقدم الحركة الثورية ، وخاصة الحركة البروليتارية كان نتيجة لتهادن البرجوازية مع الإستعمار " والصحيح إن هذا التهادن كان نتيجة لتقدم الحركة الثورية البروليتارية ويستمر فى دعايته مفسراً

إنشقاق الأحزاب المصرية بالإستعمار ، ويرى إن النظام الجمركى المصرى قد وضع فى سنة ١٩٣٠ لحماية إنجلترا ، والرأسمالية المصرية تعلم هى نفسها - إن لم يكن شندى يعلم - إن هذا النظام جاء لحماية الرأسمالية المحلية قبل غيرها ، وإن إنجلترا قد تذمرت من هذا النظام ، فأرسلت بعثة إلى مصر فى سنة ١٩٣١، ثم عادت فإستوفدت بعثة مصرية إلى إنجلترا فى سنة ١٩٣٥

أما معاهدة سنة ١٩٣٦ فقد عقدت فى نظر شندى " لضمان إمتيازات بريطانيا دون إشارة إلى الموقف الدولى ، وإنتصار الفاشيات مما دفع بريطانيا والبرجوازية المصرية الى التفاهم على حساب الشعب وتسأله عن إنشقاق السعديين على الوفد فيرد إنه يرجع إلى مدى إرتباط الفريقين بالإستعمار

الإستعمار دائماً هو كلمة السر عند هذا الشندى الإقتصادى ، وإنه لتجد الموقف نفسه عند العادليين الآخير ، فقد إهتدوا أخيراً إلى إنه توجد فى مصر طبقات ، مستدلين بأكوام من الإحصائيات التافهة ، جموعها من هنا وهناك بغير هدف إلا إدعاء العلم ، ولكن هذا هو العلم البرجوازى الذى إمتلأت به الكتب والمجلات والذى يتوه فيه الماركسى ويحار وكم كان لينين ناقداً جاداً عندما هاجم أمثال هؤلاء على عملهم الذى يستطيعه كل إنسان ، ودعاهم أن يضعوا أيديهم على سر التطور ، على مفتاح التقدم فى المجتمعات إلا وهو كفاح الطبقات

من هنا نبدأ البحث الجدى الذى تبدأ منه النظرية الماركسية وتتقدم الحركة الشيوعية إما غير هذا فتفسير إقتصادى مصدره البرجوازية وتسأم منه البروليتاريا

يزعم كاتب العادلين إن الإستعمار وقف ضد الصناعة الثقيلة .

- ص ٢٢ -

ولكن ما هى هذه الصناعة الثقيلة هى صناعة الصلب وتوابعه التى أرادتها مصر فى بدء تصنيعها فوقف ضدها الإستعمار ؟ الله وحده يعلم

ويزعم إن الصناعة الثقيلة التى قامت فى مصر إحتكارية ولا يبين كيف إستتح هذا ، ثم هو لا يرتب عليه نتائجه ويدجل فيزعم إن الإستعمار فى البداية قد إحتضن الأجزاء العليا من البرجوازية "

ولا ندرى كيف يكون الإستعمار قد وقف ضد الصناعة الثقيلة وفى نفس الوقت يحتضن الأجزاء العليا من البرجوازية وهى التى تتقدم بمثل هذا الصناعة ونحن نعلم إن مثل هذا الإحتضان إنما جاء متأخراً وذلك بعد ثورة ١٩١٩ نتيجة لأسباب داخلية من كفاح الطبقات ، وأسباب خارجية من إنتصار العمال فى الإتحاد السوفيتى

والقارىء للعادلين يدرك أن لهم هـذه المرة آراء معينة بلغت غايـة الوضـوح ، ويكفى الرأى الواحد منها لهدم النظرية الماركسية وقلبها رأساً على عقب ، فهم ينادون

١) بالثورة الزراعية

٢) بالبرلمانية الإصلاحية

٣) بالجبهة الوطنية

أما الثورة الزراعية : فهى فكرة إقتصادية بحتة ، مبنية عن أساس إن إدخال الالآت وإستعمال الطرق الحديثة فى الزراعة كفيل فى ذلك بتحسين مستوى الفلاحين .

إسمع إلى كاتبهم يقول :

".. الثورة الزراعية هى المحور الأساسى لثورتنا فى المرحلة التالية .."

- خطة ١١ -

وتستزيده علماً فينبؤك أن أكثر من ٨٠٪ من السكان لا يزالون يعيشون فى الريف ، وإن ٧٠٪ من المنتجين يشتغلون بالزراعة ، ثم يقول "ولعل هذا يلقى ضوءاً على أهمية الثورة الزراعية فى المرحلة الحالية من ثورتنا التحريرية كذا - كذا

ولسنا بحاجة لتكرار النصوص الماكسية والتى سبق ذكرها من أن العبرة هى بطبقة المستقبل ، ولو كانت أقلية ، وإن فكرة الأغلبية هى فكرة إنتهازية ، تمنع قيام ثورة البروليتاريا أو الإعداد لها ، ومن إن الثورة الحالية الضرورية ، هى ثورة برجوازية فى مضمونها ، ولكن على البروليتاريا إن تقوم بها بالتحالف مع الفلاحين .

وتجد فى الصفحة السادسة بياناً لا مزيد أقلية " إن الملكية شبه الإقطاعية تقف حائلاً دون إستخدام أساليب الزراعة ، والآلات الرأسمالية ، وذلك بسبب الرخص المذرى بأجور العمال الزراعيين ويضيف أن ببعض الآلات والعناية بالأرض ، أمكن الفلاح النيوزيلاندى أن يضاعف إنتاجه ٢٧ مرة "

إذن فالمسألة مسألة آلات وطريقة زراعة ، وإلى الجحيم نظريات الشيوعية.

إما البرلمانية الإصلاحية : فهى فكرة أولئك الإنتهازيين الذين ينكرون الثورة ، وينادون بالتدرج فى الإصلاح ، وهم لذلك يعترفون بدور البرلمان فى حل المشاكل والمستعصيات ، ومبدأ البرلمان هو الأغلبية ، وصاحبنا العادلى يؤمن بهذه الأغلبية أنظر كم يتجشم من جهد ومشاق ، وكم سعى وراء الإحصائيات ليثبت أخيراً إن وراء فضية التحرر أغلبية شعبية !!

فمنذ متى كانت الأغلبية هى شغل الشيوعيين الشاغل وإلى متى سنظل نجهل إن الشيوعية هى نظرية الطبقة العاملة ، نظرية البروليتاريا وحدها وأن هذه الطبقة ذاتها كما قال لينين لن تنضم جميعها إلى الحزب الشيوعى

إن الكاتب يقسم المجتمع إلى طبقات وطبقات ، حتى البرجوازية فإنه ظل يوزعها حتى خيل للقارىء إنه لم يعد بينها وبين الشيوعية إلا قليل

إذ مًا أصراره على فكرة الثورة الزراعية إلا إذعان منه لمبدأ الأغلبية إذ أن أكثر من ٨٠٪ من السكان لا يزالون يعيشون فى الريف و٧٠٪ من المنتجين يشتغلون بالزراعة .

وإذن مع الأغلبية ولو ضد الثورة البروليتارية .

أما الجبهة الوطنية ، فهى إنكار لدكتاتورية البروليتاريا ، إنكار لثوريتها ، إنكار للثورة ذاتها

وكاتب العادلين زميل لشندى فى هذا الموقف ، وكلاهما تلميذ ليونس قوام الفكرة هو العدول عن المبدأ الماركسى القائل بأن الطبقة العاملة هى الطبقة الثورية الوحيدة إلى النهاية فى المجتمع الرأسمالى ، والقول بدلاً من ذلك بأن هناك طبقات ثورية أخرى فى نفس المستوى .

والكاتب العادلى فى غاية الوضوح فيقول فى صفحة ١١ إن المؤسسات الصغيرة - أى الرأسمالية الصغيرة - لا تجد التسهيلات التى تجدها الكبيرة

وفى صفحة ١٢ إن البرجوازية الصغيرة مهددة دائماً بالإنهيار تحت ضغط رأس المال الكبير ، ولذا فالمصالح الطبقية للبرجوازية الصغيرة تدفعها دفعاً فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية من أجل طرد الإستعمار ، وتأهيل الصناعات والمتاجر الكبيرة

وإذا سلمنا جدلاً بهذا ، فهل غرض الشيوعية الأخير ، هو تحرير البرجوازية الصغيرة من الرأسمالية الكبيرة أم تحرير البروليتاريا من الإستغلال الفعلى ، وتحرير المجتمع من الطبقات جميعها ؟

أين قول لينين الذى أصر فيه على ضرورة تصفية البرجوازية الصغيرة هى الأخرى بوصفها الفئة التى تلد الرأسمالية بإستمرار ، إن جريمة هذا الكاتب هى إنه يعتبر الثورة القادمة هدفه الأخير ، ولذلك لا يشير بكلمة إلى الثورة التى يجب أن تليها وهى الثورة الإشتراكية ، هدف الشيوعيين

ونفس النغمة الإنتهازية يرددها شندى فى تقريره عن الإتحاد السوفيتى ، فالإتحاد السوفيتى عنده هو الدولة الإشتراكية التى تغطى سدس الكرة الأرضية ، والتى تحررت فيها البرجوازية الصغيرة نهائياً

والواقع إن الإتحاد السوفيتى لم يقصد بثورته تحرير البرجوازية الصغيرة كهدف أصلى ، وإنما عمل على تحرير الطبقة العاملة ، وهو بعمله هذا يحرر المجتمع كله من نظام الطبقات ، ويحرر الطبقات بعضها من بعض

وشندى صاحب نظرية يرددها بكل جرأة ، ولا يخجل من فعلته ما دامت تحقق له مأربه فى الصفحة ذاتها يذكرنا بيونس وتيتو ، فيقول إن ثورة

أكتوبر قد مهدت الطريق لتغلغل الأفكار الإشتراكية فى الطبقات الوسطى غير البروليتاريا والفلاحين فى جميع القوميات والقبائل ، وحببت إليها لواء الإشتراكية وإذا كان صحيحاً إن التجربة الروسية قد دعمت النظرية الماركسية وتفصيلاتها لم تتغير على الإطلاق ، كل ما هناك إلى أن الظروف أصبحت اليوم أكثر ملاءمته للكفاح الشيوعى ، وإن إمكانيات الثورة أكثر توافراً عن ذى قبل ، ومع ذلك فلا تزال الماركسية هى نظرية الطبقة العاملة وحدها ، وهى تنادى بالثورة البروليتارية ، وبدكتاتورية البروليتاريا وحدها مستندة إلى أن الطبقة العاملة هى الطبقة الثورية الوحيدة إلى النهاية ولن يتيسر هذا بغير قيام الحزب الشيوعى ، طليعة البروليتاريا ، والحزب بعد ذلك يجب أن يراعى الأوضاع الإجتماعية المعينة ، بغير إن يفنى ذاته فى هيئة أخرى ، بغير أن ينقلب فيصبح حزباً لأكثر من طبقة

والخلاصة هى أن الإنتهازية ، أى البرجوازية فى داخل الحركة العمالية تسيطر اليوم على الحركة الشيوعية المصرية وواجب كل ماركس أن يبدأ حملة ضد دعاة الهزيمة والتقليل من شأن الطبقة العاملة وتعديل الماركسية ، واجب كل ماركس أن يحطم الإنتهازية حيثما يجدها

هذه الحملة يجب أن يقصد منها التعجيل بتكوين الحزب الشيوعى المصرى الذى يجب أن يظهر اليوم فى المجتمع لمجابهة المشكلات العديدة التى يولدها كل يوم تفاقم الكفاح بين الطبقات ، وإزدياد متناقضات النظام الحالى ، وعلى هذا الحزب أن يلزم الطريقة اللينينية ، تلك التى لخصها ستالين فى كتابه عنها ، وهى التوحيد بين النظرية والعمل ، وهى تثقيف الجماهير بالكفاح الثورى ، وهى إحترام النقد والنقد الذاتى ، ونتبع فى ذلك ما قاله لينين فى نص معروف:

ماذا يقوى النظام فى حزب البروليتاريا الثورى ، ومن الذى يدعمه إنه أولاً وعى الطليعة البروليتارية ، بإخلاصها للثورة تمكنها من نفسها ، روح التضحية عندها بطولتها ، أخلاصها وهو ثانياً قدرتها على التقرب من جماهير العاملين ، من الجماهير البروليتارية أولاً وقبل كل شىء ومن الجماهير الكادحة غير البروليتارية ، أيضاً قدرتها على الإنصهار إلى حد ما فيها ، وهو ثالثاً صواب القيادة سياسياً التى تمارسها الطليعة ، سلامة إستراتيجيتها وتاكتيكها السياسى ، بشرط أن تقنع الجماهير من تجربتها الخاصة بصحة هذه القيادة .."

ونحن نعلم كما قال لينين إن :

التجربة الثورية والمهارة فى التنظيم هى من الأمور التى تكتسب .."

- ماذا نفعل -

وإنه ".. ليس للبروليتاريا من سلاح آخر غير التنظيم فى كفاحها للإستيلاء على الحكم .."

- خطوة -

".. المبدأ الجدى الوحيد فى مسألة التنظيم هو السرية الكاملة ، والإختيار الفاحص للأعضاء ، وإعداد الثوريين المحترفيين .."

- ماذا نفعل -

".. مبدأ التنظيم يهبط من القمة إلى القاعدة ويوسع حقوق المركز وكل سلطاته بالنسبة للجزء .."

- خطوة -

".. هذا المركز لن يكون فى مرحلة التشتت الحالية سوى المنظمة الغالب نفوذها نتيجة نشاطها وثباتها الثوريين إما فى مرحلة الوحدة الفعلية للحزب فإن المركز سيكون بالضرورة مؤتمر الحزب الذى يجمع عندئذ جميع مندوبى المنظمات النشيطة .."

- خطوة -

وسيكون للدعاية مكانها الأول فى هذا البرنامج

قال لينين :

".. طالما كان الغرض هو ضم طليعة البروليتاريا للشيوعية فإن الدعاية تمثل المكان الأول .."

- مرض الشيوعية -

".. ونعلم إن للنظريات دوراً فى التنظيم والتجنيد والتغيير .."

- ستالين -

فعلى الماركسيين أن يقوموا بقدر الإمكان بشرح النظريات شرحاً صحيحاً ، وعليهم ألا يخفوا متناقضات النظام الرأسمالى وإنما يبرزوها ويفرضوها ، ألا يخمدوا كفاح الطبقات بل يتولوه حتى النهاية .."

- ستالين -

وتلك هى أهمية الإثارة إثارة سخط الجماهير وإستنكارهم لكل مظهر من مظاهر الإضطهاد

بقيت مسألة النقابات ، ولا يمكن مهما كانت الظروف إنكار الندور الأصلى للنقابات العلنية ، وهو مباشرة الكفاح اليومى للعمال ضد رأسمال ، بل إن كشف الخونة والمندسين فى النقابات لا يكون إلا فى العمل العلنى غير أن ظروف الإرهاب تدعو لإيجاد نقابات سرية ، وكانت الطبقة العاملة قد إخذت تسير فى هذا الطريق جاءت سياسة الإنتهازيين فأخلت بالسرية ، وكان أن قضى على هذه الخطوة النشيطة

قال لينين :

علينا أن نساعد بجميع الوسائل أولئك العمال
الذين يسيرون فى هذا الطريق

- ماذا نفعل -

ثانياً

تكوين الجمهورية الديمقراطية الشعبية

فإذا ما تكون الحزب الشيوعى سريعاً فإن أولى المسائل أمامه هى تنظيم الكفاح ضد أعداء الطبقة العاملة وتمهيد السبيل أمام ثورة البروليتاريا

وفى الوقت الحالى يقف الإقطاع والبرجوازية والإستعمار صفاً واحداً ومن ورائهم الفاشية كلب الحراسة فى معسكر الرجعية ولن يتسنى لنا أن نهاجم جميع الأعداء فى وقت واحد ، بل علينا أن نتربص بهم ونختار منهم أضعفهم ، وهذا المركز الضعيف يتنابونه بحكم التطور وكفاح الطبقات .

ففى سنة ١٩٤٦ كان الإستعمار أضعفهم ولكنه اليوم فى سنة ١٩٤٩ من أقواهم ، وأضعف أعداء الطبقة العاملة اليوم هو الإقطاع ، والموقف يدعو إلى الإيقاع به بكل الطرق .

قال ستالين :

المهم هو إن نستخلص من بين المهام التى تعرض أمام الحزب تلك المهمة العاجلة التى تعتبر النقطة المركزية التى يضمن أداؤها الحل السديد للمهام الأخرى العاجلة "

والثورة ضد الإقطاع لم تنته بعد فى مصر ، فيجب تكملة هذه الثورة التى بدأت فى عام ١٨٨١ ، وإنتعشت فى عام ١٩١٩ والتى وقفت فى منتصف الطريق لخوف البرجوازية من العمال

وقد بلغ الإستغلال في الريف حداً عنيفاً يزداد كل يوم تحت وطأة الضغط والإستبداد وقد أدى هذا إلى تذمر أغلب الفلاحين وسخطهم على النظام القائم ووصل بهم الأمر حد الثورة ضد بعض أصحاب الأرض ، ومن جانب آخر فإن الملكية المستبدة تفرض نظاماً بوليسياً عسكرياً علي طبقات الشعب المختلفة بما فيها البرجوازية الصغيرة وهى تستند فى ذلك إلى البوليس السياسى وتقوم بحروب إستعمارية تستهلك عدداً كبيراً من الفلاحين وحاجتها فى إزدياد إلى العمال وضرائب الإستهلاك فى إرتفاع بينما تظل الضرائب تافهة على الأطيان

هذا ونجد طوائف من متوسطى الفلاحين الذين كانت حياتهم قائمة على إستئجار الأطيان وزراعتها لا يجدون من يؤجر لهم فكبار الملاك منصرفون عن التأجير إلى الإستغلال المباشر ولم يعد أمام الفلاحين إلا أن يجدوا الأرض نظير إيجار بالقسط أو إن ينحدروا إلى صفوف صغار الفلاحين المعدمين الذين يأكلون من عمل أيديهم

وقد مرت الحركة الشيوعية فى ألمانيا وروسيا القيصرية بمثل ما تمر به مصر اليوم ، فقد كان النظام البرجوازى الغالب يعيش جنباً إلى جنب مع بقايا إقطاعية إستبدادية فنادى إنجلز فى ألمانيا بضرورة تخليص المجتمع من هذا الإقطاع لتسهيل الإنتقال إلى المجتمع الإشتراكى ، وأعلن لينين نفس المبدأ فى روسيا

قال إنجلز :

" لا نزاع أن البرجوازية هى عدولنا ، فهى تستند فى سلطانها إلى الملكية الخاصة ، إلى رأس المال وكل ما يتعلق به . ونحن البروليتاريا لا نستطيع أن نتحرر إلا بإلغاء الملكيات الخاصة ، وتدمير طبقة البرجوازية فنضع بذلك حداً ، وبصورة عامة وإلى الأبد بجميع الفروق الطبقية . إن بيننا وبين البرجوازية كفاحاً حتى الموت ولكن هل أصبحنا نحن البروليتاريا قادرين على تحويل الفوضى الإجتماعية لصالحنا تماماً وقلب البرجوازية فى الحال وتحقيق مبادىء الشيوعية ؟ أليس هناك بجانب بل قبل البرجوازية عدو آخر فى وجهنا يجب أن نرديه إذا أردنا التخلص من البرجوازية ؟ هذا العدو هو الملكية الإستبدادية التى تستغلنا بإسم السماء والتى تبقينا فى مخالب ملاك الأرض الإقطاعيين والتى كلما حاولنا أن نتخلص من أغلال العبودية أرسلت لنا البوليس وجنودها ورجال الدين ، ومدافعها لتبدة رأس المال "

- مقالة إنجلز المنشورة فى المجلة الشيوعية فى سبتمبر ١٨٤٧ -

ووصف ستالين الحالة فى روسيا القيصرية قبل ثورة ١٩٠٥ بالمميزات التالية :

١- تركز الصناعة الروسية تركزاً لم نسمع به من قبل

٢- أفحش صور الإستغلال في المصانع يؤيده حكم البوليس القيصرى

٣- إعتماد البرجوازية مباشرة على الدولة

٤- أسواء بقايا النظام الإقطاعى فى الريف ، تلك التى لا يمكن إحتمالها.

٥- القيصرية الإستبدادية الإستغلالية .

٦- الحرب الإستعمارية التى صهرت المتناقضات فجعلت منها أزمة ثورية عميقة .

- مبادىء اللينينية -

وكتب لينين عن هذه الثورة

" كانت البرجوازية الكبيرة والمتوسطة بحكم مركزها الإجتماعى تخشى التغيرات السريعة فعملت على الإحتفاظ بأجزاء هامة من النظم القديمة فى النظام الزراعى ، وفى الجهاز السياسى أما البرجوازية الزراعية الصغيرة والمختلطة بالفلاحين الذين يعيشون من عمل أيديهم فإنها لم تكن تريد سوى تغيرات برجوازية من نوع آخر بحيث تترك مكاناً أقل لبقايا الإقطاع المختلفة وأما العمال الإجراء فإنهم لم يترددوا فى إختيار موقف محدد إزاء هذا الخلاف بين الإتجاهيين !!

كذلك إمتدح ستالين هذه الثورة فقال :

" كانت المطالبة بإقامة جمهورية برجوازية ديمقراطية فى الظروف الخاصة بالقيصرية والمجتمع البرجوازى كما فى رؤسيا عام ١٩٠٥ - كانت معقولة تماماً وصائبة وثورية ، لأن الجمهورية البرجوازية كانت تعنى خطوة للأمام "

على هذا الأساس ننادى اليوم بضرورة الثورة البرجوازية الديمقراطية الوطنية ، بضرورة تصفية بقايا الإقطاع ، بوصفها ثورة لازمة للثورة البوليتارية ، فهى ثورة برجوازية فى مضمونها ، بروليتارية فى طرق كفاحها لأن البروليتاريا هى التى تقودها متحالفة مع الفلاحين فى ذات الوقت الذى تعزل فيه البرجوازية عن القيادة

قال ستالين :

".. بدأت الدراسة الجدية فى مسألة الفلاحين بين الماركسيين الروس فى عشية ثورة ١٩٠٥ حين قامت أمام الحزب مسألة قلب القيصرية وتحقيق سيطرة البروليتاريا وحين إتخذت مشكلة حلفاء البروليتاريا فى الثورة البرجوازية أهمية عاجلة كبرى

وقال لينين

الطابع الذاتى لثورة ١٩٠٥ هو إنها كانت ثورة برجوازية ديمقراطية فى مضمونها الإجتماعى بينما كانت ثورة بروليتارية من حيث طرق كفاحها

- ثورة ١٩٠٥

إن الثورة ضد الإقطاع ضرورية للطبقة العاملة من نواح كثيرة

١- الجمهورية هى أحسن غلاف سياسى ممكن للنظام الرأسمالى ، وهى شكل الدولة الذى يمكن أن تدور فى ظله المعركة الأخيرة بين البرولتاريا والبرجوازية نتيجة لإطلاق الحريات السياسية للطبقات المضطهدة

قال إنجلز

إن أرقى شكل للدولة وهو الجمهورية الديمقراطية يصبح فى ظروفنا الإجتماعية الحديثة ضرورة حتمية إنه شكل الدولة الذى يمكن أن يدور فى ظله الكفاح الأخير بين البروليتاريا والبرجوازية

- أصل العائلة -

وأضاف

".. وعلى قدر ما تصبح الطبقة المضطهدة قادرة على تحرير نفسها ، فإنها تصبح حزباً قائماً بذاته بمثليها لا بمثلى البرجوازية

- أصل العائلة -

وقال أيضاً

من المحقق إنه لا يمكن لحزبنا أو للطبقة العاملة الوصول إلى السيطرة إلا فى ظل الجمهورية الديمقراطية

غير أن الجمهورية لا تعنى أكثر من قيام ظرف جديد يساعد على نضج الثورة البروليتارية ، فهى ليست إلا شكلاً للدولة التى تظل مع ذلك مجتمعاً غير إشتراكى .

٢- كفاح البروليتاريا ضد الإقطاع يضم الفلاحين إلى صفوف الثورة ضد الرجعية والإستعمار

قال ستالين :

تعترف اللينينة بأنه توجد فى صفوف أغلبية الفلاحين كفاءات ثورية وبأنه يمكن إستعمال هذه الكفاءات لصالح دكتاتورية البروليتاريا ومن هنا جاءت النتيجة العملية القائلة بضرورة تأييدنا للجماهير الكادحة من الفلاحين ضد الإستبداد والإستغلال "

إن الكفاح البروليتاريا ضد الإقطاع يعزل البرجوازية عن الفلاحين ويهيئ للبروليتاريا ظروف القيادة والسيطرة على الطبقات الثورية فى المجتمع .

قال ستالين :

" بدلاً من أن تفيد الطبقة البرجوازية ، فإن الثورة البرجوازية قد أضعفتها بوصفها قوة سياسية ، جعلتها تفقد إحتياطيها الرئيسى ، أفقدتها الفلاحين ، فالثورة الروسية لم تبرز البرجوازية الحرة وإنما أبرزت البروليتاريا المتحررة والتى إلتفت حولها الجماهير العديدة من الفلاحين

وهذا ما لم تستطع الإنتهازية فى مصر أن تفهمه نحن نعلم إنه فى سبيل مكافحة الإستعمار يجب أن نقيم تكتلاً ثوريا من البروليتاريا القائدة ومن الفلاحين ، ومن المثقفين ولكن كيف نستطيع أن نأتى بالفلاحين إلى صفوفنا إذا لم نعزل البرجوازية عنهم ، إذا لم نمنع نفوذ البرجوازية عن الفلاحين ؟ ، وهذا لا يكون إلا بإظهار الطبقة البرجوازية على حقيقتها أمام الفلاحين فإنها لا تقبل مطلقاً أن يستولى الفلاحون على الأرض والحرية إن البروليتاريا هى الطبقة الوحيدة التى تستطيع أن تؤيد الفلاحين وتحقق لهم مصالحهم .

قال لينين :

" البروليتاريا هى وحدها التى تستطيع أن تؤيد الفلاحين حتى النهاية فى كفاحهم ونجاح ثورة الفلاحين وإنتصار الثورة الديمقراطية يفسح الطريق فى سبيل كفاح أكيد نحو الإشتراكية على أرض الجمهورية الديمقراطية

٣- الكفاح ضد بقايا الإقطاع بقرب الثورة البروليتارية ويمهد السبيل إليها فالواقع إن الكفاح ضد الإقطاع يدور فى ظروف خاصة من صراع الطبقات ، فى ظروف تعتبر الطبقة العاملة فيها قوة سياسية رئيسية وهذا على العكس مما حدث فى الثورة البرجوازية فى إنجلترا وفرنسا حين كانت البروليتاريا لاتزال طبقة ناشئة

قال ستالين :

".. ليست هناك حاجة لبيان أن الثورة الديمقراطية البرجوازية لا تخطىء فى الإقتراب من الثورة البروليتارية.."

- اللينينية -

كتب لينين :

" تكافح البروليتاريا ، وستكافح بإخلاص فى سبيل غزو السلطة فى سبيل الجمهورية ، فى سبيل مصادرة الأراضى ، فى سبيل إشراك الجماهير الشعبية غير البروليتارية فى تحرير الجمهورية البرجوازية من قبضة القيصرية الإستعمارية العسكرية الإقطاعية وستستفيد البروليتاريا مباشرة من هذا التحرر .."

ومعنى ذلك أن الكفاح ضد بقايا الإقطاع فى الظروف التاريخية الحالية التى جمعت بين الإقطاع والبرجوازية فى تحالف يربط الكفاح نحو الثورة الديمقراطية بالكفاح نحو الثورة البروليتارية فإن غليان الثورة وإلتحام الطبقات بعضها ببعض ، وإشتراك الفلاحين فى الكفاح دفاعاً عن مصالحهم المباشرة ، كل ذلك من شأنه أن يجعل إنتقال الكفاح سريعاً إلى نوع آخر أمراً ممكناً

إن المادية الجدلية التى أعلنت إمكانية التغيير الفجائى السريع هى التى تفسر لنا بنجاح ما حدث فى روسيا فى ثورتى فبراير وأكتوبر سنة ١٩١٧

قال لينين :

فى المرحلة الثورية تستطيع البروليتاريا أن تزيد طاقتها الكفاحية مائة مرة زيادة عن الأوقات العادية السلمية.."

- ثورة ١٩٠٥

قال ستالين :

تحولت الثورة البرجوازية فى روسيا فى وقت قصير نسبياً إلى ثورة بروليتارية ، فإن سيطرة البروليتاريا كانت بذرة دكتاتورية البروليتاريا كانت الدرج الذى سمح بالمرور إلى دكتاتورية البروليتاريا

وليس معنى حشد قوانا ضد الإقطاع إننا نترك لحظة واحدة أعدائنا الأخرين ، وخاصة الإستعمار

فالإنتهازية تركز على الإستعمار لأسباب خاصة بها ، ولكننا نركز ضد جميع أعداء الطبقة العاملة ، ضد الإقطاع والبرجوازية والإستعمار ونحن نعلم إن الإستعمار كان فى سنة ١٩٤٦ أضعف الأعداء من الناحية التكتيكية ولكنه اليوم من أقواهم بعد تغير الظروف العالمية والمحلية ونعلم أن فشل الثورة فى سنة ١٩٤٦ راجع فى بعضه .إلى عدم دخول الفلاحين فى الميدان الثورى .

ونحن حين نحارب الإقطاع ، لا ننسى مطلقاً إنه يعتمد على الإستعمار وعلى البرجوازية ، نريد أن نستدرج الجميع فى ميدان المعركة

قال ستالين

كانت مصالح القيصرية والإستعمار متشابكة متحالفة بقصد تكوين جبهة واحدة من المصالح الإستعمارية وتبعاً لذلك فإن من أراد أن يضرب القيصرية ، رفع يده حتماً ضد الإستعمار ومن عمل على قلب القيصرية ، وكان يقصد فعلاً لا ضربها فحسب إنما القضاء عليها دون أن يترك شيئاً منها كان عليه أن يقلب الإستعمار أيضاً ولذلك فإن الثورة ضد القيصرية كان عليها أن تتحول إلى الثـــورة ضـــد

الإستعمار أى الثورة البروليتارية قد يقول أصحابنا الإنتهازيون ، ولكن فى البلاد المستعمرة يجب التركيز على الإستعمار والقضاء عليه أولاً ، وهذا صحيح وغير صحيح..

هو صحيح فى بداية الكفاح وإليهم النص الكامل الذى أذاعته الدولية الثالثة فى هذا الصدد

إن السيطرة الأجنبية تعرقل بإستمرار نمو الحياة الإجتماعية ولذلك فإن أول خطوة من ثورة المستعمرات يجب أن تكون قلب الرأسمالية الأجنبية !!

- ٣٦- ستالين ، مشكلة الإستعمار -

وهو غير صحيح لأن الكفاح ضد الإستعمار قد بدأ فعلاً بدأ فى ١٨٨٢ ، وفشل ثم إنطلق فى ثورة ١٩١٩ ، وأخيراً فى ١٩٤٦ ، وهذه معارك إضطر الإستعمار بعدها إلى التراجع ، ومع ذلك فلم يقض عليه نهائياً فما هو السبب ؟

الجواب هو إنه لن يقضى على الإستعمار نهائياً بثورة البروليتاريا وهذا هو الحل الذى وصل إليه ستالين عند تحليله لثورة الصين قال منها إنها مرت بثلاث مراحل ، الأولى ضد الإستعمار ، والثانية ضد الإقطاع ، والثالثة والأخيرة هى الثورة البروليتارية

قال ستالين

هل حققت المرحلة الأولى هدفها ، وهو قلب الإستعمار الأجنبى ؟ إنها لم تحققه ، وإنما نقلت هذا الهدف كميراث إلى المرحلة الثانية من الثورة الصينية إنها أعطت الإنذار لإيقاظ الجماهير الثورية ضد الإستعمار ثم إنتهت بعد أن تركت أمر القضية للمستقبل

ويجب أن يكون من المعلوم أن المرحلة الثانية من الثورة لم تنجح تماماً هى الأخرى فى تحقيق هذا الغرض بطرد الإستعمار وإنما ستثير هذه المرحلة نقطة بين جماهير العمال الصينين والفلاحين ضد الإستعمار ، ستفعل ذلك فقط تاركة إنهاء القضية للمرحلة التالية من الثورة الصينية ، وهى المرحلة السوفيتية !!

- المشكلة الوطنية ٢٤٤ -

إن التذمر والسخط ينصبان اليوم على الإقطاع والنظام الملكى المسئولين عن أغلب ما يعانيه الشعب من إستغلال وإرهاق ، هذا بينما تتستر البرجوازية وراء الإقطاع ، ويتستر الإستعمار وراء البرجوازية فى ذات الوقت الذى إختفى فيه بعيداً عن عيون الطبقات الثورية الموجودة فى الدلتا

يجب الإستفادة من هذه الظروف ، ويحب لهذا أن ننمى الروح الديمقراطية الموجودة بين الفلاحين ، أن نفتح عيونهم على إستغلال الإقطاع وإستبداده على ضرورة توزيع الأرض على الفلاحين ، على ضرورة الثورة وإمكانية إعداد مستقبل أحسن

قال لينين :

> طالما كانت الثورة البرجوازية الديمقراطية ناقصة فى ألمانيا فلقد حصر ماركس إهتمامه فيما يتعلق بتاكتيك البروليتاريا الإشتراكية فى تنمية الروح الديمقراطية لدى الفلاحين ..

وعلينا أن نستفيد من التجربة الروسية فى إعداد خريطة المعركة

قال ستالين فى عرض هذه التجربة التى إمتدت من ١٩٠٣ حتى ١٩١٧

كان الهدف ، القضاء على القيصرية وتصفية بقايا الإقطاع نهائياً

القوة الرئيسية فى الثورة - البروليتاريا

الإحتياطى المباشر - الفلاحين

إتجاه الضربة الرئيسية - عزل البرجوازية الملكية الحرة التى تحاول جذب الفلاحين إليها وتصفية الثورة بالإتفاق مع القيصرية .خطة التصرف فى القوات ، تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين .

- الأسس -

فالتحالف مع الفلاحين هو الأساس فى تحريك الثورة .على البروليتاريا المصرية إذن أن تقضى على الملكية ، وتصفى بقايا الإقطاع نهائياً على أن تكون الضربة الرئيسية بعزل البرجوازية الملكية التى تحاول كسب الفلاحين وتصفية الثورة ضد الإقطاع أى تكون بعزل البرجوازية الخائنة ، فالثورة ضد الإقطاع بإقامة الجمهورية الشعبية ، تندرج فى قائمة الكفاح الذى تقوم به البروليتاريا لعزل البرجوازية الخائنة ، تمهيداً للقضاء عليها ، وعلى هذا النحو يجرى الكفاح .

قال لينين :

".. أولاً مع كل الفلاحين ضد الملكية ، ضد كبار ملاك الأرض ، ضد الإقطاع ، ثم مع الفلاحين الفقراء وشبه البروليتاريا وجميع الكادحين ضد الرأسمالية .."

وقال أيضاً

يجب أن تقوم البروليتاريا بالثورة الديمقراطية حتى النهاية بأن تضم إليها جمهور الفلاحين لتحطم بالقوة الإستبداد ، وتعطل عدم إستقرار البرجوازية ، وعليها أن تقوم بالثورة البروليتارية الإشتراكية ، بأن تضم إليها جميع العناصر شبه البروليتارية من الشعب ، تلك هى مهمات البروليتاريا .."

كما أن علينا أن نقتدى بالصين الجديدة فى ثورتها ضد الإستعمار والإقطاع ، وأن نترسم الخطوات التى قامت بها الطبقة العاملة الصينية وحزبها الشيوعى فى هذا السبيل

الخلاصة

تلك هى مهمات البروليتاريا وحزبها الشيوعى فى مصر يفضى إليها تحليلنا السريع لتطور النظام الرأسمالى وكفاح الطبقات فى مصر .

ولقد دل التفسير المادى للتاريخ على توافر الإمكانيات حالياً لظهور الحزب الشيوعى ، طليعة الطبقة العاملة فى كفاحها للإستيلاء على الحكم فالطبقة العاملة المصرية فى كفاح عنيف مع الرأسمالية كفاح صقل وعيها الطبقى ، وجعل منها قوة أساسية تثور ضد الإستعمار ، وتصارع البرجوازية ، وتندد ببقايا الإقطاع والفلاحون واقعون تحت وطأة أسوأ صور الإستغلال ، وفيهم كفاءات ثورية يجب الإستفادة منها

والموقف الدولى يتطور منذ الحرب الأخيرة لصالح الطبقات العاملة وأحزابها الشيوعية ، ولذلك نرى الإستعمار يشدد قبضته على الشعوب المضطهدة ، وينوى أن يجعلها طعمة للنيران

فالموقف من جميع نواحيه يدعو لقيام الحزب الشيوعى المصرى ، وعلى هذا الحزب أن يقود الكفاح الشامل ضد أعداء الطبقة العاملة أعداء المجتمع فيجب إيجاد تكتل ثورى ضد الإستعمار ، ويجب عزل البرجوازية عن الطبقات المختلفة فى الشعب ، وتحرير الفلاحين من بقايا الإقطاع هذه إمكانيات الكفاح .

وليس ينقصنا إلا العمل على ضوء الماركسية النظرية المادية الجدلية الإشتراكية ، التى تفسر المجتمع وتغيره تغيراً

الطبعة الأولى مايو ١٩٤٩

الطبعة الثانية أغسطس ١٩٥٣

برنامج الحزب الشيوعى المصرى

يكافح الحزب الشيوعى المصرى على رأس جميع الطبقات الكادحة فى سبيل الإشتراكية والخطوة الأولى نحو الإشتراكية ، والخطوة التى تعبد الطريق نحو المجتمع الإشتراكى هى إقامة جمهورية ديمقراطية شعبية يتحرر فى ظلها الشعب من الإستعمار ويتخلص من سلطة كبار ملاك الأراضى والمحتكرين ، ويكون الحكم فيها للشعب يتولى أمره بنفسه

ولهذا يكافح الحزب الشيوعى المصرى على رأس الشعب جميعه ويقوده فى هذا الكفاح التاريخى من أجل

١ - الإستقلال والتحرر من الإستعمار الإجنبى ، الإنجليزى والأمريكى وجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان

٢ - مقاومة مؤامرات الإستعمار العالمى بزعامة أمريكا لإشعال نيران حرب عالمية عدوانية ضد الشعوب والقضاء على كل مؤامرة تدبرها الطبقات الرجعية لأقحام الشعب المصرى فى مغامرات الإستعمار العسكرية

٣ - الوقوف فى معسكر الشعوب الذى يضم جميع الشعوب الحرة والشعوب المستعمرة التى تناضل عن حريتها وإستقلالها والراغبة فى السلام والديمقراطية تحت زعامة الإتحاد السوفيتى وطن الإشتراكية ،حصن السلام ونصير الشعوب ، والصين الشعبية التى تعتبر قدوة لشعوب المستعمرات فى الكفاح من أجل التحرر والديمقراطية والدفاع عن السلام

٤ - القضاء على النظام الملكى الإستبدادى ، نظام كبار ملاك الأراضى الإقطاعيين والرأسماليين الإحتكاريين ، الذى يستند إلى قوة الإستعمار المسلح ويسوق الشعب فى مغامراته دفاعاً عن الإستعمار والطغيان وإقامة الجمهورية الديمقراطية الشعبية التى يكون الحكم فيها للشعب من العمال والفلاحين والوطنيين والديمقراطيين

٥ - مصادرة الملكيات الزراعية الكبيرة (ما يزيد على ٥٠ فداناً) وإعادة توزيعها على الفلاحين الفقراء .

٦- تأميم الإحتكارات والبنوك والمرافق العامة والمؤسسات الإستعمارية وإدارتها بواسطة العمال .

٧- إطلاق الحريات السياسية ، وهى :

حرية الكتابة والنشر والكلام ، وحرية العقيدة الدينية ، وحرية الفئات الشعبية المختلفة فى التظاهر والإضراب والإجتماع ، وحريتها فى تكوين الهيئات والنقابات والأحزاب التى تعبر رأيها وتدافع عن مصالحها

٨- بناء جيش شعبى ديمقراطى من جميع أبناء الشعب ، يصون مصالح الشعب ويدعم السلام العالمى ، وإلغاء الجيش الإقطاعى الأستقراطى الحالى ، تابع النظام الملكى الإستعمارى الساعى وراء الفتح والحروب ، والمسخر ضد الشعب وضد السلام و الديمقراطية لصالح معسكر الإستعمار وأعداء الشعب

٩- تحسين مستوى معيشة العمال وفئات الشعب الأخرى وبخاصة الفلاحين والموظفين ، وتأمين العمال ضد خطر البطالة والمرض والشيخوخة وجعل ساعات العمل أربعين ساعة فى الأسبوع

١٠- فرض الضرائب التصاعدية على الدخل والأرباح غير العادية والتركات ، وأعفاء العمال وفقراء الفلاحين وصغار الموظفين من الضرائب المباشرة ، وإلغاء جميع الضرائب غير المباشرة التى تصيب المستهلكين الفقراء

١١- جعل التعليم بجميع مراحله حقاً لكل مصرى ومصرية بغير مقابل مع توفيره لجميع أبناء الشعب وتحرير العلوم والثقافة من بقايا الأفكار الإستعمارية والإستبدادية الرجعية

١٢- تحرير المرأة من قيود الحريم الإستبدادية المتأخرة ومساواتها بالرجل فى جميع الأمور سواء الإقتصادية أو السياسية أو الإجتماعية ، وبخاصة تقرير حق المرأة فى الحصول على أجر مساو لأجر الرجل نظير قيامها بنفس العمل.

١٣- حرية الشعب السودانى وحقه فى تقرير مصيره بنفسه ، وتأييد كفاحه من أجل التحرر الكامل وجلاء جميع القوات الإستعمارية البريطانية والمصرية عن أراضيه

١٤- حرية الشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير مصيره بنفسه ، وتأييد كفاحه من أجل التحرر الكامل وجلاء الجيوش الإستعمارية العربية و المصرية عن أراضيه ، وتكوين دولة فلسطين العربية الديقراطية المستقلة

نص البرامج الصادر فى
أواخـــــر ١٩٤٩ عن
الحزب الشيوعى المصرى

بين الماضى ، وواقع اليوم

" تقرير تطور الرأسمالية "

محاولة للتقيم عرض للأخطاء

ورؤية للمسار

تعليق

داود عزيـز

إن إصدار هذا النص التاريخى من جديد يعتبر إنجازاً ضرورياً لتعريف الأجيال المتعاقبة بمرحلة هامة من النضال الثورى فى مصر

وكم تغيرت الظروف بعد أربعين عاماً منذ أن طبع هذا النص لأول مرة بل أن هذا التغيير يعتبر جذرياً. لقد مرت الثورة المصرية بمراحل متتالية وإتخذت مسارات متعاقبة ، فحققت الإنتصارات حينا وعانت من الإخفاق حيناً آخر

ولذا فمن الأجدى ، إلقاء بعض الضوء على هذا المسار ، بالإشارة إلى قضايا أثارها هذا النص ، وكيف إنه قد حسم قضايا أساسية وجوهرية كانت مثار مناقشات تدل على الإفتقار إلى الوضوح ، وكان حسمها عاملاً رئيسياً فى بدء مرحلة ثورية جديدة من الحياة السياسية ، وتوضيحاً لدور الفكر الإشتراكى فى إنجاز خطوات رئيسية على طريق الثورة فى مصر

وقد ساهم هذا التقرير وبشكل رئيسى فى تأسيس الحزب الشيوعى المصرى فى أواخر ١٩٤٩ وفتح بذلك الطريق للنضال من أجل إنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية وشكل بذلك تياراً سياسياً هاماً فى حياة البلاد السياسية

ومثلماً كان هذا النص التاريخى عاملاً ودافعاً لتيار ثورى جديد فى حياة البلاد السياسية ، فإنه قد حوى فى ذات الوقت بذور الخطأ الجوهرى الذى وقع فيه هذا التيار الفكرى والسياسى فى هذا الجيل من الثوريين وفى ذلك الوقت البعيد .

إن أهمية التقييم والكشف عن جوهر الأخطاء إنما يساعد على إكتشاف مستقبل المسار الثورى اليوم وقد تحوى المحاولة بعض الفائدة ، وقد يكون التناول فى مكان مقتضباً أو متعرضاً لأمور أصبحت اليوم بفعل النضج وقسوة التجربة غير خافية على الكثيرين

غير إنه من الضرورى تحديد الخطأ الرئيسى الذى تضمنه هذا الفكر ، وما ترتب عليه من آثار ضارة والمحاولات التى بذلت للتصحيح وأثر ذلك على المستقبل .

إنجازات ثورية هامة

لقد تميز تقرير تطور الرأسمالية بالوضوح والفكر الماركسى السوى ولذلك فإنه كان حاسماً بالنسبة لقضايا عديدة من بينها أهمية تأسيس الحزب ، وبرنامجه ، وإستراتيجيته وتكتيكه وأسسه التنظيمية الأمر الذى تحول بالفعل إلى حركة إجتماعية وسياسة أثرت بشكل واضح فى مسار الحركة الثورية فى مصر

أ -المنهج

أكد التقرير على مفاهيم أساسية تربط الفكر النظرى الماركسى العام وبين واقع المجتمع المصرى وتطوره وبين كيف أن تاريخ المجتمع المصرى هو تاريخ حركة الجماهير وما تنبض به والذى يعتبر ترجمة حية لعلاقات الإنتاج وأن ما يحكم هذه العلاقات بين الأفراد والطبقات خاضع لحتمية التطور والتغيير وإن عناصر التغيير كامنة بداخل المجتمع ذاته . فقوى التقدم تستحث حركة المجتمع وتسير به إلى الأمام ، وقوى الرجعية والتخلف تعيق التغيير وتحاول أن توقفه وتعود به إلى الخلف

فثمة صراع بين الطبقات ومعنى هذا أن الصراع كامن داخل الوحدة أى داخل المجتمع ، وعامل رئيسى فى تغييره ، بإزدهار جانب منه وذبول جانب آخر ولذا فإن حفز عناصر التغيير وأحداثها هو الذى يبدل من الظاهرة ذاتها لتحل مكانها أشكال جديدة لهذة الظاهرة والظاهرة التى نحن بصددها هى المجتمع المصرى هذا المنهج الذى إتبعه المؤلف هو تطبيق دقيق لمبادىء الجدلية على فهم التاريخ ، وعلى المجتمع المصرى حينذاك

فالتطور والصراع الطبقى ، هما العنصر الرئيسى فى تفسير الظاهرة وبالتالى فإن مفهوم التغيير مفهوم ثورى يرى فى المجتمع ظاهرة تشمل على الحركة تتخللها عناصر التغيير ، وإنه على الثوريين أن يكتشفوا عناصر التغيير وإن يستحثوه لكى يكون ثورياً وواقعياً أى قائماً على أساس ما وصلت إليه هذه الحركة وإمكانية الإنتقال بها من حالة إلى حالة أكثر تقدماً وأعلى فى حركتها وتفسير التاريخ بإعتباره حركة الجماهير ليعطى سلاماً للمكافحين ويقودهم إلى عتبات تغيير جديد

ب- الثورة المقبلة

وتطبيقاً لهذا المنهج تصل الدراسة إلى أن مصر مقبلة على ثورة فما هى طبيعة هذه الثورة القادمة ؟!

كان الثوريون ومن بينهم الماركسيون حينئذ يكافحون ضد الإستعمار ومن أجل الحريات ، وكان هناك حديث كثير عن الإشتراكية ، ولكن لم يكن هناك تحديد للمرحلة الثورية القادمة فحدد هذا البحث بأن الثورة المقبلة هى ثورة ديمقراطية تحريرية أى ثورة ضد بقايا الإقطاع وضد الإستعمار الأجنبى ، وضد الفئات الرأسمالية المحلية التى تتداخل مصالحها مع المصالح الإستعمارية وإن هذه الثورة ضرورية لكى تفتح الطريق إلى مرحلة ثورية أعلى هى مرحلة الثورة الإشتراكية وبذلك تحددت إستراتيجية واضحة للثورة المقبلة فإنحاز المرحلة الأولى من الثورة يتضمن إقامة الجمهورية الديمقراطية الشعبية ، وإن جوهر الثورة الديمقراطية هو القضاء على بقايا العلاقات الإقطاعية الإستبدادية بإلغاء النظام الملكى سند العلاقات الإقطاعية ، وإن هذه الثورة الديمقراطية التى أتى بها هذا البحث هى ثورة فلاحية

وأوضح أن الثورة الفلاحية إنما تعنى توزيع الأرض على الفلاحين بلا مقابل ، وفرق بين الثورة الفلاحية والثورة الزراعية ، كما كان ينادى البعض . فالثورة الزراعية تعنى إدخال وسائل الإنتاج التكنيكية فى زراعة الأرض

وتحويل الزراعة إلى علاقات الإنتاج الرأسمالية وهو أمر وإن كان مطلوباً إلا أن العلاقات الإقطاعية تقف فى وجهة . ولذا لزم تحريك الفلاحين جميعاً فى ثورة تحقق مطلبهم التاريخى فى الأرض والحرية ولما كان الصراع ضد العلاقات الإقطاعية قد إرتبط تاريخها بالصراع ضد النفوذ والإحتلال الأجنبى وضد قوى الإستعمار عامة ، فإن الطابع الديمقراطى للثورة يرتبط تماماً بالطابع التحريرى لهذه الثورة.

إنه يؤكد على التخلص من النفوذ الأجنبى الإستعمارى إنه يؤكد على التخلص من النفوذ الأجنبى الإستعمارى فى السلطة السياسية وفى الإقتصاد أيضاً كما يؤكد على معاداة المشاريع الإستعمارية العالمية لوضع بلادنا والمنطقة بأكملها فى إطار هذه المشاريع والمخططات فالثورة الديمقراطية تسير جنباً إلى جنب مع الثورة التحريرية

وإن تحقيق ذلك إنما يعنى الإنتقال إلى مرحلة إستراتيجية جديدة هى مرحلة الثورة الإشتراكية ، وإذا كانت الثورة الديمقراطية التحريرية تهم الطبقات الثورية والقوى الديمقراطية والوطنية ، أى تهم العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والقوى الوطنية والديمقراطية فإن الثورة الإشتراكية تهم فى المقام الأول العمال وفقراء الفلاحين والجماهير الكادحة عموماً إن المرحلة الإشتراكية من الثورة إنما تهدف إلى تحويل الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج إلى ملكية عامة للشعب العامل إنها تهتم بتحرير الشعب بأكمله من كافة ضروب الإستغلال إما مكان هذه الثورة عالمياً فهو إنها جزء من حركة التحرر العالمية ضد الإمبريالية وهى أيضاً جزء من الثورة الإشتراكية العالمية برغم الطبيعة البرجوازية لهذه الثورة

جـ- الديمقراطية والحريات السياسية

أكد النص على أن الثورة المقبلة هى بطبيعتها ثورة ديمقراطية ، وأوضح أن مفهوم الديمقراطية إنما يعنى شكل للسلطة السياسية أى شكل للدولة وكما يقول لينين " إن الديمقراطية هى شكل من أشكال الدولة وواحد من أنواعها "وإن" الديمقراطية وجه آخر للديكتاتورية

وهذا هو أشمل تعريف للديمقراطية.

لقد عرفت الديمقراطية كفكرة منذ أزمان بعيدة ، ولكنها كانت بإستمرار ديموقراطية الأقلية أى ديكتاتورية ضد الأغلبية

وعلى أيدى مفكرى البرجوازية إكتسبت الديمقراطية شكلها البرجوازى الليبرالى ، ولا شك إن الديمقراطية البرجوازية هى ثورة على أشكال السلطة الإقطاعية السابقة عليها ، ولكن البرجوازية تزعم إنها بهذا الشكل قد حققت حريات كافة المواطنين ، وأقرت المساواة بين الجميع وعلى ذلك فإنه يجب على الجميع الإلتزام بالدساتير والقوانين البرجوازية بإعتبارها شكلاً نهائياً والديمقراطية الليبرالية قدمت الشكل البرلمانى بإعتباره الشكل الرئيسى المعبر عن رأى الأغلبية وبالتالى فإن الدولة تكون قد أصبحت على زعمهم بمنأى عن الإنحياز الطبقى والمصالح الطبقية والحقيقة إن الدساتير والقوانين فى الدولة البرجوازية قد صيغت بعناية لإخفاء شكل الدولة البرجوازية المنحاز إلى جانب الطبقات المالكة فهذه الطبقات بما تملكه من وسائل الإنتاج وكافة القدرات الإقتصادية تتمكن من السيطرة على طابع الحياة السياسية والإجتماعية بما فيها وسائل النشر والتعبير وكل مناحى الحياة بل إن الحياة الحديثة والتقدم التكتيكى المذهل قد مكن البرجوازية من فرض أشكال من السيطرة الشاملة وما حديث العالم الرأسمالى عن الديمقراطية والحريات إلا بهذا المعنى فالديمقراطية عندهم هى الديمقراطية الليبرالية فحسب وأى شكل آخر مرفوض لديهم ويقع تحت تسميات عديدة كالشمولية والديكتاتورية والسلطوية

إن النظام السياسى الأمريكى يقدم نفسه بإعتباره حارس الديمقراطية فى العالم ولكن أى مراقب يعلم أن أصحاب البلايين من ذوى النفوذ الإقتصادى ومستشاريهم من المفكرين إنما يرتبطون بشكل محكم مع المصالح الإحتكارية المحلية والعالمية . وهم (جمهوريون وديمقراطيون) يتقاسمون المواقع والسيطرة

بل إن الظاهرة الحديثة التى تتشكل اليوم هى محاولة تكوين إمبراطورية عالمية لرأس لمال بدون نظر إلى الجنسية إمبراطورية تحاول إقامة نظام لهذا الكوكب بغية السيطرة المطلقة للإحتكارات العالمية على $\frac{4}{5}$ من سكان الأرض ، من الشعوب والبلدان الفقيرة ، وفرض أقسى أشكال الدكتاتورية الدولية من مدعومة بالسيطرة العسكرية ، والإقتصادية وكافة الوسائل التى تعتمد على الدهاء والأحكام التنظيمى والقهر الشامل إن الخلط بين مفهوم الحريات السياسية و الديمقراطية كنظام سياسى وشكل للدولة أمر شائع وكثيراً ما يخلط البعض بينهما

وقد أصاب " نص تطور الرأسمالية " فى توضيحه لهذه القضية التى تعتبر السلطة أي شكل الديمقراطية هى المشكلة الرئيسية فى كل ثورة لقد بين أن الديمقراطية الشعبية هى شكل الدولة ، وإنه شكل يحقق الحريات السياسة كأوسع ما يكون للجماهير الوطنية كما أن هذا الشكل يفرض سلطات القهر والديكتاتورية على الطبقات المخلوعة ويحرمها من الكثير من حرياتها وإمتيازاتها إذ إنه لا يمكن الفصل بين الديمقراطية والديكتاتورية إنهما وجهان لشىء واحد والحرية السياسة جزء لا يتجزأ من شكل الديمقراطية أى شكل الدولة ، وإنه لا يمكن فصل قضية الحريات عن المصالح الطبقية ، فتوزيع الأرض على الفلاحين يعطى مزيداً من الحرية للفلاحين ويفرض قهراً على كبار ملاك الأراضى

إن " تقرير تطور الرأسمالية " لم يقع فى المفهوم الليبرالى لفكرة الديمقراطية بإعتبارها كفاحاً من أجل مطالب جزئية ، مثل الكفاح من أجل إلغاء الأحكام العرفية وإطلاق الحريات السياسية الواسعة . وقد تضمن برنامج الحزب بالفعل هذه الأهداف بإعتبارها من مهام الثورة والكفاح الثورى إلا إنها فى آخر الأمر تعتبر أهدافاً جزئية من الكفاح من أجل إقامة دولة ديمقراطية جديـدة .

د - تلقائية التغبير ، وإرادة التغيير

هاجم البحث بشدة ما يمكن أن نسميه تلقائية التغيير فالحياة قانونها الأساسى التغيير ، والمجتمعات تضج بالتغييرات المتوالية والمصالح المتصارعة تدفع القوى الإجتماعية المختلفة إلى النهوض من أجل الدفاع عن هذه المصالح. والطبقات الشعبية تسعى إلى الدفاع عن المطلب الملح أو التعبير عن أشكال مختلفة من المعاناة ومن بين الجماهير يبرز القادة الذين يسيرون بحركة الجماهير ، وحركة الجماهير قد تصل إلى موجة عالية من المد ، وقد تتعرض من جانب الطبقات المستغلة إلى عناصر التضليل أو القهر لكبح تحركات الجماهير أو الإنحراف بها عن مصالحها الحقيقة وللحركة التلقائية أهمية قصوى فهى مدرسة الكفاح اليومى وعن طريقها تزداد معرفة الجماهير بالتكتيكات والشعارات المناسبة مع تحديد المطالب الضرورية والتعرف على المخلصين من القادة والكشف عن المضللين والمتخصصين فى الإنتكاس بحماس الجماهير وبحركاتهم الحية إن التعرف على حركة الجماهير فى مدها أو فى جزرها وعدم التخلف عن القيام بالدور القيادى والطليعى وفق درجة وعى الجماهير مع العمل على رفع هذا الوعى بدرجة أو أخرى هو واجب ثورى.

ولذا فإن مساعدة الحركات التلقائية وحث هذه الحركات على أن تسير فى الطريق الذى يتفق مع مصالح الجماهير حتى تحصل على نصر كل ساعة فيزداد وعيها وتصبح أكثر تنظيماً ، وأن تعرف متى يكون التقدم ومتى يكون التراجع، إن ذلك يعتبر مسألة جوهرية

هـ - الدور الطليعى ، والحزب

على أن الحركات التلقائية للجماهير وحدها لا يمكن أن تصنع إنتقالاً ثورياً من مرحلة إلى أخرى .

ذلك إنه لابد من طليعة طبقية واعية بظروف المرحلة الثورية ، ومعتمدة على برنامج بشكل المطالب الأساسية للمرحلة الثورية وهذا هو دور الحزب فالحزب يشكل مجموعة طليعية تعى بالأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمجتمع والأحزاب تعبر دائماً عن المصالح الخاصة لفئات طبقية أو لعدة طبقات يتشكل منها المجتمع وذلك فى مرحلة أو أخرى ولذلك فهى تعكس رؤيتها لهذه المصالح ، وهى تدافع عنها ولما كانت المصالح الطبقية بطبيعتها متعارضة ومتباينة ، لذلك فإن الحزب الطليعى عليه أن ينحاز إلى الطبقات صانعة المستقبل الطبقات المقهورة والتى تشكل الإنتاج الأساسى فى المجتمع والتى لا تحظى فى آخر الأمر من ناتج هذا المجتمع إلا بأقل القليل بينما هى تتحمل المعاناة الأساسية وتتعرض للقهر والإستغلال وإشكال القهر تكون فى شكل مباشر أو غير مباشر فى شكل إرهاب سافر لا يحده قانون أو فى شكل قهر يعتمد على إشكال قانونية ودستورية

والحزب الطليعى لن ينهض بدوره إلا إذا كان على درجة من الوضوح الفكرى ، والنظرى بحيث يعرف بدقة الطبقة التى يمثلها فكرياً هذا إذا كان حقيقة يريد فى آخر الأمر الدفاع عن قضية إنهاء كل أشكال الإستغلال الطبقى والسير نحو تحقيق الإشتراكية وإنه فى ظروف بلادنا حيث نمت الطبقة العاملة عدداً ووعياً و خاضت تاريخياً معارك عديدة مهنية وطبقية وسياسية فإنها تتطلع إلى حزب يعبر عنها وعن مصالحها وأهدافها

و - الطبقة والحزب

لماذا الطبقة العاملة ؟ لأن الطبقة العاملة هى الطبقة التى لها مصلحة أكيدة فى الإشتراكية هى الطبقة التى ولدت مع مولد البرجوازية فى مصر ، والتى تعانى من الإستغلال الرأسمالى بشكل مباشر والتى لن يقضى على الإستغلال بالنسبة لها إلا بإحلال الملكية العامة لوسائل الإنتاج بدلاً من الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، وتلك عملية تتم خلال مراحل زمنية متعاقبة وتحولات إقتصادية مناسبة ، وفى ظل سلطة الطبقة العاملة وديموقراطيتها

إن الطبقة العاملة تفرض عليها علاقات الإنتاج أشكالاً دقيقة من التنظيم وتؤهلها للعمل الإنتاجى الجماعى والإرتباط بالتقدم العلمى والصناعى والتكنولوجى كما أن تجمعها فى مراكز الصناعة والإنتاج يولد لديها الإحساس الطبقى الإجتماعى وإدراك ومقاومة أى ظلم أو قهر

بل إن الأحداث والتاريخ أكدت إنها كطبقة تستجيب إيجابياً لما يقع على غيرها من الطبقات من المظالم والإضطهاد

ل - نظرية الطبقة العاملة

والنظرية الماركسية اللبينينة هى النظرية التى تبلورت تاريخياً وفكرياً وكفاحياً كنظرية علمية لتكون سلاحاً فى أيدى الطبقة العاملة لتمارس دورها الكفاحى التاريخى من أجل إنهاء كل إشكال الإستغلال وتحقيق الإشتراكية والمجتمع الإشتراكى والحزب الشيوعى هو المعبر عن مصالح الطبقة العاملة وعن أهدافها فى الإشتراكية والمسلح بنظريتها الماركسية اللينينية تميزاً له عن الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية ، والتى نشأت فى الأصل دفاعاً عن مصالح الطبقات العاملة فى البلدان الصناعية المتقدمة ، والتى إنتهت إلى التخلى عن هذه المصالح وإنتهجت سبيل الوفاق الطبقى وإنتهت إلى الدفاع عن مصالح الطبقات الرأسمالية وإتخذت سلسلة من المواقف الإنتهازية فى مسائل الحرب

والسلم وإستبدلت الصراع الطبقى بالتعاون بين الطبقات لقد وصلت هذه الأحزاب مرات عديدة إلى الحكم فى بلادها وإنتهت إلى التعاون مع الرأسمالية فى بلادها وخيانة مصالح الطبقة العاملة والإشتراكية بل ودافعت عن المصالح الإستعمارية وإضطهاد غيرها من الشعوب واليوم سادت تيارات إنتهازية خطرة على نطاق عالمى ، وتعرضت النظرية الماركسية اللينينية ونظرية الإشتراكية عموماً إلى هجمات شرسة ليس من التأشيرية والريحانية وإضرابهما من غلاة الرأسماليين و الرجعيين فحسب بل من المنظر بين الجدد للمراجعة العالمية الحديثة أنصار النزعات التحريفية والشوفينية وأيضاً من جانب القادة الشيوعين البيروقراطيين الذين فقدوا كل قدرة ثورية ومعرفة نظرية تؤهلهم للدفاع عن تاريخ الطبقة العاملة ومصالحها والإشتراكية العالمية عموماً والذين تراجعوا فى يأس ومن هنا فإن حزب الطبقة العاملة الشيوعى يجب أن يكون مسلحاً بفكر ومواقف معادية للإنتهازية والتى تعنى نظرية البرجوازية التى إستطاعت أن تتسرب إلى الفكر الشيوعى لتحطيمه من الداخل والقضاء على الحركة العمالية من داخلها

فالبرجوازية تدافع عن النظام الرأسمالى علناً وتعادى الإشتراكية جهاراً ولكن فيلقياً من أنصارها يضطر إلى التخفى فى شكل إشتراكى لتحطيم الإشتراكية من الداخل

يقول لينين :

" تحاول البرجوازية اللبرالية المتعفنة أن تولد من جديد فى صورة الإنتهازية الإشتراكية "

الإنتهازيون هم وكلاء البرجوازية فى صفوف الإشتراكيين وداخل الحركة العمالية وقد كشف تقرير تطور الرأسمالية بشكل جلى عن طبيعة الإنتهازية وأصلها الفكرى ودورها التاريخى وبين أن من صفات الإنتهازية التقليل من دور النظرية والإعتماد على تلقائية الكفاح ، والفصل بين النظرية والتطبيق .

وأيضاً الإعتماد على التجريبية والأساليب البرجماتية وإنكار دور ونظرية الدولة والوقوع فى النزعة الإقتصادية والقانونية الشكلية والمناداة بالتعاون بين الطبقات مع إنكار الصراع الطبقى وتمجيد الليبرالية والحط من الإشتراكية .

كما بين أن النظرية الماركسية ليست عقيدة جامدة إنما هى منظومة فكرية تعتبر مرشداً للعمل جوهرها الحركة والصراع مع الأخذ في الإعتبار إن الواقع لا بد أن يؤيد الفكر النظرى ويعمل على إثرائه . لذلك فإن الحزب الشيوعى المسلح بالنظرية وأساليب الكفاح الثورية ، والقادر على أن يصبح حزباً جماهيرياً بالربط الدقيق بين المطالب اليومية للجماهير وبالأهداف الإستراتيجية الخاصة بالمرحلة الثورية هو ضرورة تاريخية

إن الحزب الشيوعى ضرورة موضوعية لقيادة الحركة الثورية ومن أجل النهوض بالحركة التلقائية وتوجيهها نحو المصالح الحية للجماهير ومن أجل رفع الوعى السياسى والإجتماعى للجماهير ، ومن أجل كشف عمليات التضليل وحرف أنظار الجماهير عن مصالحها الأساسية ، ومن أجل تحقيق مراحل من التقدم والإنتصار لمصالح هذه الجماهير ، ومن أجل توحيد القوى الديمقراطية والوطنية بغية إقامة جبهة واسعة ثورية تهىء البلاد لحكم القوى الوطنية والديمقراطية .

والحزب الشيوعى ليس هو الطبقة العاملة إنما هو قائد لها مسلح بالعلم والفكر المتقدم وعليه عن طريق المعارك وأساليب النضال أن ينقل الوعى والعلم الإشتراكى إلى الطبقة العاملة وإن يضم أوعى العناصر فيها وأبسط شكل يمكن أن يقدمه الحزب إلى الجماهير هو دعايته وإثارته تلك هى الوسائل الحية لتعبئة وحشد وتنظيم الجماهير ومن خلال المعارك

والحزب يصوغ أشكالاً مناسبه للكفاح والتنظيم ، فهو كالقائد فى أى معركة ، عليه أن يعرف متى يكون التقدم ، ومتى يكون التراجع مع الإحتفاظ بمعنويات الجماهير سليمة بقدر الإمكان وعليه أن يعرف كيف يقلل خسائره

ويعوضها ، ويدرأ عن الجماهير الدخول فى معارك ذات طابع مغامر ، ذلك أن تحقيق نصر محدود درس غالى للجماهير وهكذا فإن الدعاية والإثارة هى ترسانة الحزب فى معركة التوعية والتنظيم

والحزب الشيوعى هو حزب الطبقة العاملة فدفاع الحزب عن الطبقات المضطهدة الآخرى يسلح الطبقة العاملة وهو طليعة لها ولكنه فى ذات الوقت يدافع عن الطبقات الشعبية الأخرى المضطهدة والتى تتكاتف مصالحها مع مصالح الطبقة العاملة بمعرفة أساسية لطبيعة دورها فى قيادة الطبقات الأخرى بل أن مصلحة الطبقة العاملة هى أن تتعرف على طبيعة المجتمع بأكمله بكل طبقاته المتقدمة منها والرجعية فذلك يزيد من وعيها ويؤهلها للتميز بين الحلفاء والأعداء وعلى ذلك فإنه من المهم التعرف على خفايا حياة الطبقات المالكة ويجب أن تتناولها وسائل دعاية وأثاره الحزب لتوفير عناصر هامة من المعرفة لجماهير الطبقة العاملة وغيرها من الجماهير المضطهدة

والحزب فى كافة المعارك عليه أن يعرف كيف ينظم إشكالاً من التحالف بين الطبقة العاملة والطبقات الشعبية الأخرى وأولها الفلاحين والمثقفين وكافة الفئات الوطنية الأخرى

وهذه التحالفات يمكن أن تتم عن طريق الأحزاب التى تعبر عن هذه الطبقات أو الفئات الطبقية أو عن طريق أشكال آخرى من التنظيم التى تنشأ وتتولد خلال المعارك وهذه التحالفات تتكون فى مواقف أو معارك محددة أو متصلة خلال فترة معينة أو معركة بعينها ، وهذه التحالفات تكون نواة لتحالفات أوسع ، والحزب يجعل من هذه التحالفات شكلاً أكمل يأخذ صورة الجبهة الوطنية من أجل أهداف محدودة أو ممتدة

ويكون الهدف الواضح لهذه التحالفات فى آخر الأمر إنجاز مهام ثورية بعينها ، وكذا كسب أهداف جماهيرية على النطاق القومى ووفقاً للأهداف الإستراتيجية .

ومن المشاكل الهامة والأساسية لإنتصار الحزب فى معاركه هو الإهتمام بفئات المثقفين ، فالمثقفون هم القوة المستنيرة فى المجتمع وهم حملة الثقافة بكافة تياراتها الفكرية التى تعبر فى آخر الأمر عن معارف إنسانية ممتدة عبر التاريخ ، الثقافة زاد قوى للمجتمع وهى بشكل عام عنصر دفع وحركة وحياة للمجتمعات ومطلب الحرية للمثقفين جميعهم مطلب حيوى وجوهرى يجب

الدفاع عنه بكل قوة إما عملية توظيف الثقافة والعلم فإنها مشكلة من مشاكل المجتمعات عامة ، ومن المهم أن يولى الحزب الشيوعى إهتماماً خاصاً بالثقافة والمثقفين وبالقضايا الثقافية المعاصرة عالمياً وقضايا الفكر العربى والتراث والوجدان الشعبى ، وإيجاد قوة ضاربة من المثقفين وحركاتهم حتى تساعد قوى التقدم عامة وتنشر النور والمعرفة وتوقظ الوجدان والأمل لدى المتعطشين إلى المعرفة والرغبة فى الإستنارة بالفكر والثقافة والفن ويدافع الحزب عن منهج محدد إزاء قضية الثقافة والمثقفين هو إنتهاج أسلوب الحوار الموضوعى فهذا هو الشكل الوحيد من أشكال الصراع المسموح به فى عالم الفكر والثقافة وهو الأسلوب المتحضر الذى يتبناه مثقفو الحزب والطبقة مع الإهتمام بإعطاء مساحة هامة لتشجيع الإتجاهات الدينية المتحررة والتى تكشف الإتجاهات السلفية وعمليات إستغلال الدين فى تضليل الجماهير أو صرفها عن مشاكلها ومطالبها أو مساندة المخططات الرجعية والمستوردة وخاصة منها التى تهدف إلى بذور التفرقة وأحداث إنقسامات بين أبناء الوطن الواحد على أساس عرقى أو دينى

إن أهداف الحزب الوطنية والديمقراطية هى أهداف الطبقة العاملة ، وهى أيضاً أهداف الجبهة الوطنية العريضة من أجل إستكمال ما لم يتم إنجازه من مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية

لقد أحرزت الجماهير كثيراً من المكاسب خلال معارك عديدة متوالية وتتعرض هذه الإنجازات الأساسية والكبيرة لتهديدات متواصلة ، وتعمل

عناصر الردة على إلغاء المكاسب التي أحرزتها الجماهير فى المسيرة الكفاحية الطويلة والتى بدأت من الثورة العرابية مروراً بثورة ١٩١٩ وحركة الطلبة عام ١٩٣٥ والعمال والطلبة عام ١٩٤٦ والكفاح المسلح فى معارك القنال عام ٥١، والإصلاح الزراعى الأول والثانى وتأميم قنال السويس فى ١٩٥٦ والمقاومة الوطنية خلال العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ والتأميمات فى ١٩٦١ ومعارك البناء (السد العالى) والتصنيع وتحرير سيناء وأيضاً من أجل إرساء بعض الإتجاهات المتعلقة بحريات التعبير وقيام أشكال أكثر ديمقراطية وحصول المرأة على كثير من حريتها فى التعليم والعمل والمساواة فى ميادين عديدة

إن الهجمات التى تتعرض لها بلادنا من جانب المخططات الإمبرالية العالمية والصهيونية إعتماداً على أنصار التبعية فى مصر والعالم العربى إنما تعمل على الإنتكاس بالنضال التحريرى والديمقراطى والإجتماعى الطويل. وذلك يدعو إلى الوقوف ضد محاولات العودة إلى الماضى تحت مختلف الدعاوى والريات سواء أكانت دينية أو عنصرية أو بتأثر المصالح الإنانية لفئات البرجوازية الطفيلية والعليا أو يتأثر نفوذ القوى الرأسمالية العالمية الإقتصادية والسياسية والقوى العربية المتخلفة والإستبدادية ، أو إهداراً لمحاولات التنمية المستقلة ممالئة لهذه القوى العالمية والعربية والمحلية إن العمل من أجل إكمال المسيرة الديمقراطية بالدفاع عن كل الأشكال الدستورية والقانونية التى تعطى للجماهير الحريات والضمانات ومن أجل مقاومة كل أشكال التبعية الإقتصادية والسياسية ، ومن أجل وضع البلاد على طريق التطور المستقل ، ذلك هو السبيل إلى قيام الديمقراطية الوطنية الحقة إعتماداً على تحالف الطبقات الوطنية العريضة من عمال وفلاحين ومثقفين ديمقراطيون وطنين وفئات البرجوازية الوطنية التى تعانى من المنافسة الأجنبية والقوى الطفيلية .

سلطة جديدة

إن المسيرة الكفاحية للجماهير الوطنية قد سارت رغم كل الظروف فى إطار وطنى وديمقراطى . وكان البحث الذى نحن بصدده كاشفاً إلى حد كبير للطريق الصحيح إن هذه المسيرة لم تتحرك بشكل آلى فقد نجحت الحركة التى قامت بين صفوف الجيش فى الإستيلاء على السلطة السياسية فى البلاد ١٩٥٢.

نجحت من خلال صراع طويل سواء فى قمة السلطة أو بين السلطة الجديدة وكل القوى السياسية الموجودة فى البلاد بلا إستثناء نجحت فى الإنفراد الشامل الكامل بالسلطة . وكان على رأسها قائدها بلا منازع عبد الناصر

وقد رفض عبد الناصر منذ بداية حكمه حتى وفاته التخلى من فكرة الإستئثار بالسلطة إستئثاراً كاملاً ، رافضاً كل شكل للتنظيم السياسى لأى قوى أخرى سواه معتمداً على الأجهزة القمعية التى شكلها وقد إنتهى ذلك بهزيمة ١٩٦٧ المروعة وكانت مواقف عبد الناصر واضحة تتمثل فى سيطرة الفئات الطبقية التى يمثلها وإزاء نظرته الضيقة إلى شكل السلطة والإنفراد بها كان لابد أن يصطدم بالشيوعين والحزب الشيوعى منذ البداية رافضاً أن يكون هناك تنظيم مستقل بغض النظر عن الخلاف أو الإتفاق السياسى والذى مر عبر مراحل متتابعة وهذا الموقف الأساسى عند عبد الناصر من العداء لفكرة التنظيم الحزبى سواء من اليمين أو اليسار قد أدى به إلى إرتكاب أخطاء قاتلة بإصراره على مطاردة الفصائل الوطنية وقد سجلت هذه الفترة أبشع أنواع التنكيل والإضطهاد وتحطيم وإنتهاك كل قيم خاصة بحقوق الإنسان وكانت محاولات الشيوعيين توحيد أنفسهم فى حزب واحد منذ ١٩٥٧ بقيام الحزب الشيوعى المصرى الموحد ثم قيام الحزب الشيوعى المصرى المتحد خطوات هامة نحو حزب واحد يتصدى للمهام التاريخية الموكولة إليه ولكن الإضطهاد الذى كاله عبد الناصر لهذه المحاولات ، وتعدد الفرق والإتجاهات الفكرية

اليمنية واليسارية داخل الحزب نفسه ، والتشتت التنظيمى الذى إنتهى إليه الحزب بعد ١٩٦٤ ثم قرار حل الحزب وإنهاء مشكلة التنظيم أواخر ١٩٦٤ كل هذا قد أنهى مسيرة نضالية وعطل مستقبل شعب وطبقته العاملة ، وتركه تحت وطأة الفكر البرجوازى مرحلة من الزمن

الخطأ الأساسى

وكل هذا يحدونا أيضاً إلى فحص أخطاء المسار بشكل عام ، والتركيز بشكل خاص على أخطاء الحزب الشيوعى المصرى المؤسس فى ١٩٤٩ من واقع تقرير " تطور الرأسمالية الذى نحن بصدده

تتعرض الأحزاب الشيوعية عامة فى مسارها وتصديها لمهام نضالية كبيرة لبعض الأخطاء ، وأكبر الأخطاء التى تقع فيها هذه الأحزاب هو الإنعزال عن الجماهير

إن الوقوع فى الأخطاء النظرية يدل على تجاهل للواقع ، فالواقع هو أقوى محك لسلامة الأفكار ، ومن بينها الأفكار النظرية

وقد وقع الحزب الشيوعى المصرى منذ تكوينه الأول فى إنحراف يسارى رغم إنه حاول جهده تصحيح كافة المفاهيم الخاطئه والتى كانت سائدة بين الماركسين عموماً وقبل تناول هذا الخطأ الرئيسى يجدر بنا أن نلخص مجموعة المسائل التى كانت مثار بلبلة وغموض ويرجع الفضل لبحث تطور الرأسمالية فى إنهاء المناقشات حول هذه المسائل بقدرته على تناولها بشكل حاسم قد أزاح كل لبس أو غموض حولها

- مسألة تأسيس الحزب الشيوعى وتوفر الظروف التاريخية والكفاحية وتطابق ذلك مع المبادىء النظرية المتعلقة بذك

- مسألة تمثيل الحزب للطبقة العاملة وكيف إنه يهتدى بالنظرية الماركسية اللينينة نظرية الطبقة العاملة دون غيرها من الطبقات.

● ثم كيف أن تمثيل الطبقة العاملة أمر مختلف عن تحالف الطبقة العاملة مع غيرها من الطبقات الكادحة مع الفلاحين أساساً ، والبرجوازية الصغيرة فى المدن و المثقفين الثورين

● أوضح أن القضية هى قضية الثورة أى قضية تغير شكل السلطة السياسية بإسقاط سلطة الإستعمار وبقايا الإقطاع ووكلاء الإستعمار من الرأسماليين وإقامة سلطة العمال والفلاحين والرأسمالية الصغيرة فى المدن والمثقفين الثوريين (يلاحظ غياب البرجوازية الوطنيّة فى هذا التحالف)

● بين أن الإنتقال إلى الإشتراكية يمثل مرحلة تالية لإنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية إعتماداً على تحالف جديد وأهداف جديدة تقضى على كل أشكال الإســـتغلال .

● وأوضح إنه لابد من إلتزام الحزب ببرنامج يعبر عن مطالب المرحلة الثورية المقبلة ، الثورة الديمقراطية ذات الطابع البرجوازى

● بين أن الإستراتيجية تهتم بمرحلة ثورية كاملة وإن التكتيك يهتم بالمراحل الجزئية من مسار الثورة وما يصاحب ذلك من مد وجزر

● أوضح طبيعة الإنتهازية وكيفَ إنها تمثل فكر ومنهج البرجوازية فى داخل صفوف الطبقة العاملة و الحزب

هذا الوضوح الفكرى كان مقدمة لأى عمل ثورى جاد فشكل بذلك علامة بارزة فى تاريخ الفكر الإشتراكى فى مصر وهذا الإنجاز التاريخى لم يحل دون الوقوع فى خطأ رئيسى تبلور فى عجز الحزب عن فهم طبيعة البرجوازية الوطنية ودورها فى الكفاح الوطنى الديمقراطى بشكل عام ومن ثم عجز عن إدراك إن ما تم من أن إستيلاء عناصر من الجيش على السلطة كان فى جوهره إستيلاء ممثلى وطليعة فئات أساسية من البرجوازية الوطنيةعلى السلطة السياسية فى مصر

أصل الخطأ

يقول التقرير وهو يتناول أثار ثورة ١٩١٩ التى قادتها البرجوازية المصريـة .

" إنه قد تألفت منها (أى البرجوازية) أحزاب جديدة ترمى إلى مقاومة ثورة الشعب

السر فى خوف العناصر الرأسمالية الواعية بل ، وفى خوف البرجوازية نفسها التى ظلت تناضل الإستعمار والإستبداد ، هو ظهور عنصر جديد فى ميزان القوى الإجتماعية ، هو ظهور العمال كطبقة فى مصر وإستيلاؤهم على الحكم فى روسيا "

تم بمضى

" تلك هى الظروف التى دعت البرجوازية إلى تهادن فى كفاحها ضد الإستعمار والإقطاع وإلى ترك ثورتها فى منتصف الطريق ناقصة "

(التقرير فصل فشل الثورة البرجوازية الديمقراطية التحريرية)

ويقول

" وهكذا تبلورت فى المجتمع المصرى طبقتان واضحتا المعالم

إحداهما رجعية (!) شديدة النمو والوعى (!) رتلك هى الطبقة الرأسمالية (!) وأخرى تقدمية نشيطة ثورية وهذه هى الطبقة العاملة !! "

مثل هذه النظرة تنطبق كثيراً على البلدان الرأسمالية المتقدمة إقتصادياً ولكنها لا تنطبق بالمرة على بلادنا المتخلفة ، والتى تعانى فيها طبقة البرجوازية المحلية ضعفاً وعجزاً عن المنافسة العالمية

تم مضى يحلل طبيعة حركة التحرير الشعبية ضد الإستعمار عام ١٩٤٦ فيقول :

" تحت ضغط الجماهير الساخطة ترددت البرجوازية فى إعلان حربها الصورية !! على الإستعمار فسبقتها الطبقة العاملة إلى ذلك إذ راحت تستعد للحركة بالدعاية والتنظيم وتألفت منها لجنة التحرير الوطنى التى أصدرت منشوراً لأول مرة فى تاريخ مصر يحدد مطالب الطبقة العاملة ، ووضع المسألة الوطنية فى مقدمة المطالب العمالية غير أن البرجوازية لم تكن تستطيع الوقوف مكتوفة الأيدى إزاء هذا الوضوح فى موقف الطبقة العاملة فأعلنت على الإستعمار حرباً كلامية عنيت فيها بنشر القلق والإضطراب فى موقف الجماهير إزاء الإستعمار "

تم مضى

" لقد خافت البرجوازية ومعها الإستعمار والإقطاع من هذه الثورة السليمة، من نجاح ثورة التحرير ضد الإستعمار "

ثم يقول

" أدركت البرجوازية إنه إذا إستطاعت الحركة الشعبية أن تحقق بمعزل عنها نصراً ثابتاً على الإستعمار أصبح توازن الطبقات فى مصر عرضة للإختلال. أصبح وجود البرجوازية فى خطر ، وأصبحت فرص الطبقة العاملة لا تحصى أدركت البرجوازية هذا بوعيها فهى تعلم إننا نعيش منذ الحرب الأولى فى عصر التحرر من الإستعمار العالمى وإنتصار ثورة العمال فى العالم كل هذا جعل الرجعية (!!) تتحد وتقف فى وجه الحركة التحريرية الشعبية وتولى النقراشى وصدقى محاربة الوطنيين والديمقراطيين بكل سلاح يضاف إلى هذا إنعدام التعاون بين العمال والفلاحين وإنعزال هؤلاء عن الكفاح التحريرى ضد الإستعمار مما سهل على الرجعية أن تبطش بالحركة وأصحابها !!

ثم يستخلص من ذلك النتيجة الآتية :

" لهذه الظروف فقدت البرجوازية المصرية شعورها الوطنى الذى دفعها إلى الثورة ضد الإستعمار فى سنة ١٩١٩

وهكذا كان الرفيق خالد قد جعل من البرجوازية المصرية كتلة واحدة ووصفها بالرجعية (!!) وإنها فى تناقض رئيسى مع الطبقة العاملة ، ويتبين من هذا العرض الآتى

١- عدم وضوح مفهوم البرجوازية الوطنية فى البلدان المتخلفة والمستعمرات ووضعها الطبقى وكيف إنها تتكون من الطبقة الوسطى أساساً وتعتمد فى ملكيتها على قوة رأس المال ، ولكنها بطبيعتها فى هذه البلدان طبقة ضعيفة إقتصادياً حيث تكون السيطرة الإقتصادية أساساً للنفوذ الأجنبى وكبار ملاك الأراضى وشريحة من العناصر الرأسمالية الكومبرادورية العميلة والتى ترتبط مصالحها الرأسمالية أساساً مع المصالح الإقتصادية الإستعمارية ، وإنه يجب التمييز بين الفئات الكومبرادورية وبين البرجوازية الوطنية

٢- إنها بطبيعتها الرأسمالية طبقة مالكة ولذا فهى طبقة مستغلة مهما كانت درجة ضعفها الإقتصادى وهى فى أغلب تكوينها قطاعات رأسمالية فى الصناعة والتجارة والزراعة ويمكن إدراج من يستخدم ١ عمال فأكثر فى التجارة والصناعة الوطنية فى عداد هذه الطبقة أما فى الزراعة فهى تمثل رأسمالية الريف وتتكون ممن يباشرون العمليات الرأسمالية العديدة فى الريف

٣- إن هذه الطبقة الرأسمالية ليست متجانسة فهى تتكون من شرائح عديدة منها الشرائح الدنيا القريبة من البرجوازية الصغيرة ومنها الفئات العليا التى تحوز ثروات كبيرة وإستثمارات واسعة ، ومنها فئات تتعدد نشاطاتها الإقتصادية بين زراعة وتجارة وصناعة ولكن ما يجعلها بين الفئات الإقتصادية الوسطى إنها لم تبلغ درجات عالية من التركيز والقدرة على فرض

المشروعات الإحتكارية الضخمة متعددة النشاطات والتى لديها القدرة على فرض وسائل الإحتكار فى السوق والسيطرة على الإتجاهات الإستثمارية الصغيرة والمتوسطة ، وهذا بطبعه متعذر حدوثه فى ظل السيطرة الإستعمارية (يرجع إلى تجربة بنك مصر حيث مثل البرجوازية الوطنية من نشأته حتى حيكت حوله المؤامرات لفرض السيطرة الإستعمارية عليه).

٤- فى ظل السيطرة الإستعمارية على الإقتصاد القومى ومنذ أن توطد النفوذ الإستعمارى فى مصر عانت البرجوازية الوطنية المصرية من السيطرة والضغط الإستعمارى السياسى والإقتصادى فى مرحلتين

أ- المرحلة الأولى ١٨٨٢ - ١٩٢٢ حيث السيطرة المباشرة للإستعمار مستعيناً بكبار ملاك الأراضى

كانت البرجوازية المصرية عموماً تعانى من القهر والإستبداد فى المجالين السياسى والإقتصادى ومستبعدة من السلطة تماماً

ب - مرحلة ما بعد ١٩٢٢ حتى ١٩٥٢ حيث شاركت الرأسمالية الوطنية بشكل أو آخر فى السلطة السياسية حيث تمكنت من إنجاز بعض التنظيمات والتشريعات التى تساعد على نموها ، وإن عانت من الضغوط الإقتصادية والسياسية الناتجة من تحالف الإستعمار وكبار الملاك وشريحة جديدة من الرأسماليين المتعارنين مع الأجنبى ، وهـــذا التحالف كان يواجه العمال والفلاحين ، كما كان يواجه البرجوازية الوطنية على مدى سنوات الإحتلال ، وعلى الأخص بعد ثورة ١٩١٩ وفى فترة ما بين الحربين وحتى عام ١٩٥٢ وقد تبلورت القوى الثلاث المعادية فى الأشكال الآتية من السيطرة

● سيطرة الإستعمار إقتصادياً بالإضافة إلى السيطرة السياسية إذ بلغت عام ١٩٤٨ نسبة رؤوس الأموال الأجنبية فى الصناعة حوالى ٧١ مليوناً من الجنيهات بينما بلغت رؤوس الأموال المصرية حوالى ٤٦ مليوناً من الجنيهات أى بنسبة تزيد على النصف قليلاً

● سيطرة ملاك الأراضى الكبار يمثلهم النظام الملكى وبلغ عددهم ١١٫٦٩٨ فرداً يحوزون أكثر من ٥٠ فداناً ويملكون مجموعه ٢٫٠٤٣٫٠٧٠ فداناً من حوالى ٦ ملايين من الأفدنة (إحصاء ١٩٤٨)

● كانت قوى الرأسمالية الأجنبية قبل ثورة ١٩١٩ تعتمد على شريحة من الأجانب المتمصرين ولكنها تحولت بعد سنة ١٩٢٢ إلى الإستعانة بعناصر مصرية فأخذت الشركات والبنوك الأجنبية تعين من بين أعضاء مجالس إدارتها بعض الساسة ورجال الأعمال المصريين تم إستخدامهم فى صيانة مصالح الأجنبى ، وقد تربعت هذه الفئة فى عضوية مجالس إدارات الشركات لحراسة المصالح الإستعمارية ، وكانت تتولى عناصر منها رئاسة الوزارات والوزارات وتقوم بدورها فى حماية المصالح الأجنبية وممارسة سياسات إرهابية معادية للتحركات الوطنية والديمقراطية .

وهكذا تحالفت هذه القوى الثلاث وتحكمت فى مصير الوطن فعانت الرأسمالية الوطنية،وخاصة فئاتها الأقل نمواً مثلما كانت تعانى طبقات الشعب من عمال وفلاحين وبرجوازية صغيرة فى المدن ، ومثقفين . وعلى ذلك فإنه كان من الخطأ البالغ إغفال دور هذه الطبقة وإمكانياتها الكفاحية و النضالية ضد النفوذ الأجنبى والإستبداد الإقطاعى وأنصار التبعية للمستعمرين ومن البديهى أن تكون الفئات الدنيا من هذه الطبقة أقرب إلى الشعب وأكثر ثورية وأن تكون الفئات العليا أقرب إلى مهادنة جبهة الأعداء

والخلاصة النظرية التى أغفلها البحث وأدت إلى أخطاء سياسية عديدة هى أن الرأسمالية الوطنية

أ- طبقة ذات طبيعة إستغلالية بحكم دورها فى الإستثمار والإنتاج لذا فهى تواجه العاملين لديها من الطبقات الشعبية لضمان تحقيق أرباحها

ب - إنها طبقة لها مصلحة فى النمو الإقتصادى وفى تحطيم القيود الإقطاعية وسيطرة كبار الملاك على أسعار المنتجات الأولية . لها مصلحة فى توسيع السوق الرأسمالية بإجراء إصلاح زراعى والحد من المنافسةالأجنبية لها فى سوقها الوطنى .

جـ- إنها طبقة فى نفس الوقت مضطهدة فهى تتعرض لضغوط إستعمارية وإقطاعية وقد شاركت فى السلطة جزئياً وفى فترات قصيرة جداً منذ ١٩٢٢ حتى يوليو ١٩٥٢.

وعلى ذلك كان يجب النظر إلى هذه الطبقة بإعتبارها طبقة ذات طبيعة مزدوجة هى ضد قوى إستغلالية طاغية أجنبية وإقطاعية ولكنها تمارس إستغلال العاملين فى نفس الوقت إنها مع الشعب ضد الأعداء وضد الشعب إذا أراد إسترداد بعض حقوقه منها تعمل على إستخدام الشعب فى تحركاته ضد الأعداء بدرجة يظل معها تحت أعلامها وقيادتها . وتخشى تماماً إستقلالية تحركات الجماهير سياسياً وتنظيمياً

وهى طبقة بحكم وضعها فى الإنتاج ليست على درجة واحدة من النمو والتجانس إنما بينها فئات دينا وفئات متوسطة وعليا ، ولذا فإن مواقفها تتفاوت أيضاً حسب مواقعها الفئات العليا أجزاء منها أقرب إلى التهادن مع الأعداء بل وقد يؤدى نموها إلى إنفصال أجزاء منها عن الكفاح الوطنى وبالطبع فإن الفئات الصغيرة منها والوسطى أقرب إلى الإلتقاء مع الشعب فى معركته التاريخية من أجل التحرر والديمقراطية والتقدم والسلام

هى طبقة ليست على وضع ثابت من حيث نموها ففئات منها تنهار تحت الضغوط الإقتصادية والسياسية وفئات منها تنمو بدرجة أو أخرى ، ولذا فهى ليست ثابته فى وضعها الإقتصادى أو فى مواقفها السياسية وإنما تتشكل وتتغير طاقاتها الثورية بين ظرف وآخر

وعلى كل الأحوال فإن موقف الحزب الشيوعى حين تأسس موقفه من هذه الطبقة كان خاطئاً.

وكان يجب التأكيد على ضرورة وجود مكان لهذه الطبقة فى التحالف المنشود فلا يكتفى بالطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين بل كان يجب أن يكون تحالفاً أوسع من هذا ، وإن يشمل بالإضافة إلى هذه الطبقات الثورية طبقة البرجوازية الوطنية أيضاً وكان يجب أن يهدف هذا التحالف لا إلى إقامة سلطة الطبقات الشعبية فحسب بل يهدف إلى إقامة سلطة الطبقات الوطنية وأن يكون للبرجوازية الوطنية مكانها فى هذه السلطة الجديدة بقيادة الطبقة العاملة وكان يجب أن يكون التعامل مع البرجوازية الوطنية المدعوة إلى التحالف قائماً على منهج الوحدة والصراع أى الدعوة إلى التحالف والدفاع عن مصالح هذه الطبقة كما الدفاع عن مصالح الشعب عامة والكفاح فى نفس الوقت ضد التطلعات التهادنية لهذه الطبقة مع الأعداء أو محاولتها شل كفاح الجماهير وإعاقته على أن القوة الفاعلة لشل تردد البرجوازية الوطنية وإنضمامها إلى الجبهة هو نجاح الطبقة العاملة فى تكوين التحالف الأساسى من العمال ، والفلاحين كان يجب أن يكون هذا واضحاً من الناحية الإستراتيجية وفى التطبيق كان يجب أن يكون واضحاً أيضاً من الناحية التكتيكية كان يجب النص بوضوح فى البرنامج على الدفاع عن النشاط الإقتصادى الوطنى لهذه الطبقة ، وعلى الأخص تشجيع الصناعة والزراعة والتجارة الوطنية وتوفير الدعم لها إزاء المنافسة الأجنبية وتخفيف الأعباء الإقتصادية وخاصة الضرائبية المفروضة عليها وإزالة العوائق التى تحد من ودورها فى السوق المحلية ، وكان يجب متابعة نشاطها السياسى وفهمه من هذه الزاوية كان يجب الإهتمام بالتغيير السياسى الذى حدث بعد نجاح الوفد فى إنتخابات ١٩٥٠ وتشكيل الحكومة الوفدية والسير فى إتجاه إيجاد أشكال من التحالف لدى كل موقف سليم تتخذه أقسام منها وخاصة الشباب

الوفدى والإهتمام بالإنجازات التى تتحقق على أيدى الحكومة فى مواقفها العملية (مثل مجانية التعليم) إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، الإتجاه إلى تأييد الكفاح المسلح إلخ ، ومقاومة الإتجاهات المعادية (مثل ضرب عمال الأسكندرية والتهادن مع السراى والإلتجاء مرة أخرى إلى سياسة المفاوضات مع المستعمرين)

وكان مثل هذا التحديد لطبيعة البرجوازية الوطنية ودورها فى المعركة كفيلاً بتصحيح أهم خطأ وقع فيه الحزب منذ تكوينه حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢

كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ رغم بدايتها وطابعها العسكرى هى ثورة البرجوازية الوطنية وقد أزاحت السلطة القديمة والحلف القديم وإنفردت هذه الطبقة بالسلطة وكان هذا معناه إنه قد حدث تغيير ثورى فسلطة البرجوازية الوطنية والمعبرين عنها كانت أكثر تقدماً من السلطة شبه الإقطاعية شبه الإستعمارية كانت سلطة جديدة رغم كل ما صاحب مسار هذا التغيير من عناصر شديدة التعقيد لقد حدثت الثورة رغم معرفة الحزب بأن هنالك حركة نشطة ووطنية فى الجيش وكانت جريدة الحزب رأية الشعب تعيد نشر منشورات الضباط والأحرار وتعلق عليها وكانت هذه المنشورات تندد بالسيطرة الإستعمارية وبالفساد الملكى والإستبداد السائد فى البلاد والأحكام العرفية التى أعلنت عقب حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ لضرب الكفاح المسلح فى القنال والبطش بالحركة الوطنية والمكافحين

نفس الخطأ ساد عالمياً

فى الجزء الثانى وتحت عنوان مهمات الحركة الشيوعية المصرية يخلص التقرير إلى المهمة العاجلة وهى تكوين الحزب الشيوعى المصرى ثم المهمة الآجلة ، وهى تكوين الجمهورية الديمقراطية الشعبية وقد إستند فى مقدمة هذا الجزء إلى إقتباس من ستالين يقول فيه إن المهمات العاجلة للحركة الثورية فى المستعمرات التى تقدمت فيها الرأسمالية هى

١- أن تكسب أحسن عناصر الطبقة العاملة إلى جانب الشيوعية ، وإن تؤلف أحزاباً شيوعية مستقلة .

٢- أن تقيم تكتلاً وطنياً ، من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ضد كتلة البرجوازية الخائنة والإستعمار (التخطيط من عندنا)

٣- أن تؤكد سيطرة البروليتاريا على هذا التكتل .

٤- إن تكافح لتحرير البرجوازية الصغيرة فى الريف والمدن ، من نفوذ البرجوازية الخائنة

٥- أن تقيم حركة إتصال بين حركة التحرير وبين حركة البروليتاريا فى البلدان المتقدمة .

الماركسية والمسألة الوطنية والإستعمار ص ٢١٨

يزعم البعض إن ستالين قد نسب إليه قوله إن البرجوازية قد ألقت بعلم الوطنية فى الوحل والواقع إن ستالين قال ذلك بشأن برجوازية البلدان الرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية حين كان يتحدث عن قضية السلام العالمية وإن حديثه عن خيانة البرجوازية هو ذلك النص الذى أورده التقرير بشأن برجوازية المستعمرات والبلدان والتابعه والتى بها برجوازية تامية نسبياً أى بها طبقة عاملة متقدمة نسبياً أيضاً ، و على العموم فإن هذا النص كان واضح الدلالة وكان يمثل إتجاهاً عالمياً سائداً . وكانت الفكرة تعتمد على الزعم بأنه نتيجة لثورة العمال فى أكتوبر ١٩١٧ ، ومنذ ذلك الحين فإن البرجوازية فى المستعمرات عامة قد أحجمت عن تحدى الإستعمار والنضال من أجل الإستقلال وفضلت أن تخون القضية الوطنية خشية حركات العمال وأصبحت بالتالى عاجزة عن قيادة الكفاح الوطنى والحقيقة إن الواقع قد أثبت أن هذه الفكرة النظرية ليست صحيحة فن المفروض إن نجاح ثورة أكتوبر الإشتراكية قد ساعد نظرياً وسياسياً على إلهام الحركات الوطنية عامة وإنه قد شجع كل

الطبقات الوطنية ، ومن بينها البرجوازية الوطنية على أن تنهض بدورها الكفاحى وأن تجد لها سنداً وتعضيداً من الحركات الثورية العالمية وإنه بعد الحرب العالمية الثانية قد زادت فرص هذه الحركات الوطنية عن ذى قبل وإنه قد إتسعت أشكال الكفاح الوطنى وإكتسب خبرة أكبر وتأييداً عالمياً أوسع

بل أن الحركات الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى كانت تتعرض للقمع البشع ، وكانت فرص نجاحها ضئيلة على عكس ما حدث بعد الحرب العالمية الأولى وثورة أكتوبر الإشتراكية إذ صارت إمكانيات النجاح أكبر بدرجة أشد بعد الحرب العالمية الثانية وتكوين المعسكر الإشتراكى العالمى

وهذا هو التحليل الصحيح ، وهو يفسر ما حدث فى بلادنا فثورة عرابى تعرضت للقمع الباطش أما ثورة ١٩١٩ فقد توقفت فى منتصف الطريق. ولكنها حققت الإستقلال السياسى ومشاركة البرجوازية فى السلطة أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد تأثرت الحركة الوطنية المصرية بالفكر الإشتراكى وبرزت إستقلالية الطبقة العاملة وتجرأت حكومة الوفد على تحدى قوات الإستعمار بإلغاء المعاهدة ١٩٣٦ ، ومساعدة حركات الكفاح الوطنى المسلح فى القنال .أما حركة الجيش ١٩٥٢ فقد عبرت عن رغبة البرجوازية الوطنية فى تحرير الوطن وإنطلقت بعد تجارب مريرة وعديدة فى مواجهة قوات الإستعمار بصلابة وطنية عجزت عنها البرجوازية الوطنية فى مراحل كفاحها السابقة .

ولكن البرجوازية الوطنية رغم تغير الظروف التى ساعدت على تقوية كفاحها ظلت نتيجة لطبيعتها الإستغلالية والمزدوجة ظلت على ترددها وخاصة فئاتها العليا بين الشعب المكافح والأعداء المتربصين به ولم تتخل عن هذه الطبيعة المترددة ولم تعط ثقتها للجماهير بشكل حقيقى وتشهد أساليب الأحزاب البرجوازية وخاصة حزب الوفد تلك الخاصية كما تشهد حقبة عبد الناصر أيضاً بذلك .

ويظن بعض المكافحين أن هذا الخطأ الستالينى لم ينسحب على ثورة الصينية والحقيقة إن قائدها ماوتسى تونج كان واقعاً فى نفس الخطأ وإن كانت ظروف الثورة نفسها لم تساعد على كشف هذا الخطأ وليس أدل على ذلك من إنه عندما تناول مسار الثورة الصينية وأشار إلى إنه مر بأربع مراحل

المرحلة الاولى : إمتدت من حركة ٤ مايو ١٩١٩؛ حتى تأسيس الحزب الشيوعى الصينى فى عام ١٩٢١ وإستمرت سنتين وكانت حركة ٤ مايو معادية للإمبرالية ، ومناهضة للإقطاع وبالرغم من عدم وجود حزب شيوعى وقتئذ فإن الحركة يتأثير الثورة الروسية ولينين كانت جزءاً من الثورة البروليتارية العالمية فى هذا الوقت وأن عدداً كبيراً من المثقفين الذين أيدوا الثورة الروسية وكان لديهم بعض المفاهيم الأولية عن الأيدلوجية الشيوعية قد عملوا على تكوين جبهة متحدة من ثلاث شرائح من الشعب المثقفون الشيوعيون ومثقفو البرجوازية الصغيرة ومثقفو البرجوازية(وكونت فيها بعد الجناح اليمينى للحركة) وكان من قصور الحركة إنها حصرت نفسها فى المثقفين دون ضمان مساهمة العمال والفلاحين وهذه الحركة ما أن تطورت فى الثالث من يونيو ليس بالإعتماد على حركة مثقفين فحسب بل على أقسام واسعة من البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية حتى أصبحت حركة واسعة على النطاق الوطنى

المرحلة الثانية : من ١٩٢١ إلى ١٩٢٧ إستمرت ٦ سنوات وفيها تم تأسيس الحزب الشيوعى وعمل الزعيم سان يات صن قائد حزب البرجوازية (الكومنتانج) على تطبيق المبادىء الثلاثة الأساسية وهى تشتمل على التعاون مع الحزب الشيوعى الصينى ، والتحالف مع روسيا ،والإستناد إلى الفلاحين والعمال وبالتالى فإن تطبيق مبادىءسان يات صس كونت فى الواقع جبهة متحدة من البروليتاريا والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية ضد الإمبريالية والثقافة الإقطاعية

المرحلة الثالثة : من ١٩٢٧ - ١٩٣٧ عن هذه المرحلة يقول ماو منذ ذلك الحين فإن الطبقات الأربع للمعسكر الثورى بقى منها ثلاث طبقات فقط البروليتاريا والفلاحين وأقسام أخرى من البرجوازية الصغيرة (من بينها الإنتلجنسيا الثورية) وذلك أن تغييراً حدث فى داخل المعسكر الثورى فى نهاية المرحلة الثانية فالبرجوازية الصينية الكبيرة إنتقلت إلى المعسكر المعادى للثورة معسكر الإمبريالية والقوى الإقطاعية وتبعتها البرجوازية الوطنية هى الآخرى"

- ديمقراطية الصين الجديدة

المرحلة الرابعة : منذ ١٩٣٧ أى مع بدء الغزو اليابانى للصين فإن الثورة الصينية أدت مرة آخرى إلى جبهة متحدة من أربع طبقات ، وقد إتسع نطاقها كثيراً فقد ضمت أقسامها العليا ممثلين من الطبقات الحاكمة وضمت شرائحها الوسطى البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة وشرائحها الدنيا والبروليتاريا وبذا فإن جميع الطبقات وشرائحها الأمة أصبحت أعضاء فى التحالف وحاربت فى إصرار الإمبريالية اليابانية

الملاحظ إذن أن المرحلة الثالثة يقيمها ماو بنفس التقييم الستالينى . وهى مرحلة سادت فيها سياسية العداء للشيوعية والتى يذكر فيها ماو أن البرجوازية الوطنية قد إنتقلت هى الآخرى إلى جبهة الأعداء أثر إنتقال البرجوازية الكبيرة وبقيت قوى الجبهة مكونة من طبقات ثلاث فحسب

وعلى الرغم من أن ماوتسى تونج قد أدرك فى ظروف الغزو اليابانى أن البرجوازية الوطنية شكلت من جديد قسماً من الجبهة مما دعاه إلى الحديث عن جبهة وطنية مكونة من أربع طبقات إلا إنه أعتبر تواجد البرجوازية الوطنية فى الجبهة تواجداً تكتيكياً فرضته ظروف الحرب ضد الغزو اليابانى الإستعمارى ونادى بأن ديمقراطية الصين الجديدة أى السلطة السياسية للثورة الصينية إنما تتكون من ثلاث طبقات فحسب هى البروليتاريا والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدينة والمثقفين الثورين فحسب

غير أن تداعى الأحداث وإستمرار الكفاح ضد الأعداء بعد صدور كتابة ديمقراطية الصين الجديدة سنة ١٩٤٠ ، وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٤٩ قد أدى إلى أن ساهمت البرجوازية الوطنية واقعياً فى إنتصار الثورة إلى جانب البروليتاريا والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن وهو مالم يكن متوقعاً وقد دفع هذا ماوتسى يونج إلى أن يعدل مفهومه عن الشعب فى كتابه " ديمقراطية الشعب الدكتاتورية " بقوله إن الشعب اليوم لا يتكون من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فحسب بل والبرجوازية الوطنية أيضاً

الحقيقة أن مفهوم " الشعب " وتكوينه إنما يقتصر على الطبقات غير المالكة أو محدودة الملكية أى العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة فى المدن والمثقفين وإن الديمقراطية التى قامت أثر نجاح ثورة الصين هى ديمقراطية وطنية. أى تعبر عن الطبقات الأربع وليس الثلاث طبقات ، كما إفترضت تنبؤاته .

المسألة الثانية عام ١٩٢٧ بعد فشل الثورة الصينية وفى مجرى الثورة الصينية إرتفعت بعض الأصوات التى تنادى بقيام " كمالية " فى الصين أى قيام ثورة على نمط الثورة الكمالية فى تركيا ، وهى ثورة قام بها الشعب التركى قامت فى عام ١٩٢٢ لمناهضة العدوان اليونانى المؤيد من الإمبريالية البريطانية ومعتمدة على مساعدة الإتحاد السوفيتى وإنتهت عام١٩٢٣ بإختيار كمال أتاتورك رئيساً لتركيا . وهى ثورة وصفها ستالين بإنها ثورة من أعلى وتمثل البرجوازية التجارية وإنها ثورة ضد الإمبراليين الأجانب وموجهه فى تطورها أساساً ضد الفلاحين والعمال وضد إمكانية قيام ثورة فلاحية وقد وصفها ماوتسى تونج إنها الديكتاتورية الكمالية للبرجوازية وأكد إنه

" لن توجد مرة أخرى تركيا أخرى بعد الحرب العالمية الثانية وبعد أن أكمل الإتحاد السوفيتى الإشتراكية "

ثم قال :

" إن تركيا الكمالية قد رمت نفسها أخيراً بين أحضان الإمبريالية الإنجلو فرنسية وتحولت شيئاً فشيئاً إلى شبه مستعمرة وجزء من العالم الإمبريالى الرجعى "

قال أيضاً

وفى الموقف العالمى اليوم فإن أبطال المستعمرات وإشباه المستعمرات يجب أن يقفوا إما فى جبهة الإمبريالية أى أن يصبحوا جزءاً من قوى الثورة المضادة أو إن يقفوا فى الجانب المعادى للإمبريالية وأن يصبحوا جزءاً من الثورة العالمية فلا يوجد خيار ثالث"

وهكذا تفترض الفكرة الستالينية ويؤيدها ماو بأنه و بعد نجاح ثورة أكتوبر الإشتراكية فإن قيادة البرجوازية للثورة فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة تتضاءل ، وإن موقف هذه الطبقة هو أقرب إلى الإنضمام للأعداء ، ولم تدرك هذه النظرة أن الظروف لم تضيق من الإمكانيات الثورية لهذه الطبقة بل على العكس من ذلك فإنها قد وسعت من إمكانياتها وإن الثورة الناصرية لم تكن إلا كمالية جديدة فى ظروف أكثر تقدماً مما ساعدها هى وبعدها العديد من الحركات التحريرية والثورية وتحت قيادات برجوازية من إنجاز مهام ثورية جديدة مستفيدة من التجارب الثورية الإشتراكية فى مناهضة الأعداء وفى الإلتجاء إلى أساليب مستحدثه فى تبنى أفكار عديدة تصفها بالإشتراكية وإن عمدت إلى إستبعاد الطبقة العاملة من المشاركة فى السلطة ، وهو ما حدث فى مصر

محاولات تصحيح الخطأ

إن خطـأ الحـزب الشيوعى المصرى الأساسى هو إنحراف يســارى أهمل ما يلى :

١- تقدير الظروف السياسية الخاصة بالبلاد وخاصة تقدير دور البرجوازية الوطنية تاريخياً ، وتحديد هذا الدور واقعياً وتقدير الكفاءات الثورية فى هذه الطبقة وتحديد حقيقة دورها كطبقة ذات طبيعة مزدوجة تتردد بين الشعب وأعداء الشعب

٢- تقدير الظروف السياسية العالمية والتى تؤكد إنه بعد إنتصار ثورة أكتوبر الإشتراكية فإن الطاقات الثورية لدى الطبقات الثورية ، لدى الطبقات المناضلة بشكل عام قد وجدت مساندة عالمية ودافعاً ثورياً لم يكن متوافراً قبل ثورة أكتوبر ثم عاملاً أكثر مساندة وأكثر دفعاً بعد الحرب العالمية الثانية وإنتصارات الإشتراكية العالمية وعلى الأخص بعد نجاح ثورة الصين الشعبية وعلى ذلك فإنه من البديهى أن دمغ البرجوازية بشكل عام بالخيانة ووضعها فى جبهة الأعداء إنما يشتمل على جوهر الخطأ ، وقد ترتب عليه أن يتخذ هذا الخطأ أشكالاً مختلفة عبر المراحل المتتابعة

أ - فمنذ تأسيس الحزب كان هذا الخطأ يتمثل فى عدم تقدير دور الأقسام الوطنية من البرجوازية الوطنية وخاصة بعد تشكيل الحكومة الوفدية بعد نجاح الوفد فى إنتخابات ١٩٥٠ ، وحتى حريق القاهرة وإقالة حكومة الوفد وفرض الأحكام العرفية ففى الوقت الذى كان الحزب يسعى إلى إقامة أشكال من التحالف مع عناصر من الحزب الوطنى الجديد والإشتراكى فإنه لم يقدر تماماً إمكانيات التحالف مع أقسام من حزب الوفد ، وخاصة الشباب

الوفدى والطليعة الوفدية وبعض عناصر الهيئة الوفدية ، مع تقدير بعض إنجـــازات الحكومة الوفدية ، وفى ذلك الحين بشرط تأكيد الدور المستقل للحزب .

ب - منذ قيام ثورة الضباط الأحرار ١٩٥٢ حتى صفقة الأسلحة التشيكية لم يدرك الحزب طبيعة حركة الجيش ، وكيف أن هذه المجموعة من الضباط بتأثير نتائج حرب فلسطين وفساد النظام الملكى ، وسيطرة المستعمرين قد قامت حركة علوية قام بها ضباط الجيش وإستولت على السلطة وكما قاد عرابى ورجال الجيش ثورة البرجوازية عام ١٨٨١ وحقق نجاحات ضد السيطرة الإقطاعية ، والأجنبية ثم لم تلبث أن تعرضت الثورة للهزيمة والبلاد للإحتلال كذلك فإن مجموعة الضباط بقيادة عبد الناصر قادت حركة الجيش وحولتها إلى ثورة برجوازية ضد بقايا الإقطاع السراى والإستعمار الإنجليزى وحقق نجاحات عديدة إستمرت حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧ والإحتلال الصهيونى لجزء كبير من البـــلاد .

فمجموعة الضباط الذين قاموا بالحركة هم مثقفون من أبناء البرجوازية أرقتهم هزائم الجيش فى حرب فلسطين وحفزهم فساد النظام الملكى المسيطر بالفعل على الجيش عن طريق أعوانه حفزهم ذلك مع قدرتهم كعسكرين على النظام إلى القيام بتلك الحركة العلوية والتى أيدها الشعب بمجرد قيامها وتم بذلك تحقيق سلطة جديدة تعبر عن مصالح طبقة البرجوازية الوطنية وقد عكست الإتجاهات المختلفة بين المسيطرين على الحركة التفاوت داخل هذه الطبقة بين اليمين واليسار وإنه كان يجب تأييد العناصر الإيجابية فى أعمال السلطة الجديدة وكشف الجوانب السلبية فى سياستها ثم الدعوة إلى توحيد الكفاح بين جميع الوطنين فى المعارك المتوالية وتشكيل أشكال من التحالف مع

التنظيمات التى حاولت هذه السلطة إقامتها مع التأكيد على الدور المستقل للحزب على إننا فى نفس الوقت يجب أن نلاحظ تعقيد الموقف فيما يلى

١- ظل شكل السلطة السياسية متأرجحاً بين الملكية والجمهورية فترة سنتين حتى حسم لصالح الجمهورية فى يوليو ١٩٥٤.

٢- ظهرت الخلافات والإنقسامات داخل مجموعة الضباط حتى ثم التخلص من الأجنحة اليمينية (رشاد مهنا ثم محمد نجيب فى نوفمبر ١٩٥٤) ومن الجناح اليسارى بالتخلص فى مارس ١٩٥٤ من خالد محى الدين

٣- برزت سيطرة الفرد وزعامة عبد الناصر وأصبحت أهم كثيراً من محاولة إرساء أشكال من الممارسة الدستورية والديمقراطية حتى فى شكلها البرجوازى . وترتب على ذلك إهدار الحريات السياسية تماماً وإعتمدت السلطة على الشكل القمعى وعانى من ذلك كل التيارات السياسية عدا الصفوة من رجال الجيش والعناصر المخلصة لعبد الناصر شخصياً وكان الإعتماد الرئيسى فى توجيه العمل السياسى على الأجهزة الأمنية التى تم إنشاؤها وتشكيلها شيئاً فشيئاً وتراجع بند الكفاح من أجل تحقيق ديمقراطية سليمة من برنامج الضباط الأحرار وأصبح بنداً مؤجلاً على الدوام

لقد أقام عبد الناصر شكلاً من سلطة البرجوازية الوطنية أى أقام ديمقراطية البرجوازية الوطنية وديكتاتوريتها ضد أعداء الثورة من ناحية وضد الشعب من ناحية آخرى

٤- تعثرت القضية الوطنية ووصلت عن طريق المفاوضات إلى إتفاقية الجلاء ١٩٥٤ وكانت إتفاقية بها عيوب واضحة تلك الإتفاقية التى تم إسقاطها بإلغائها بعد العدوان الثلاثى الإستعمارى الصهيونى عام ١٩٥٦ .

٥- من أكبر الأخطاء التى أرتكبتها السلطة الجديدة موقفها من حركات العمال إندفعت الطبقة العاملة تتقدم بمطالبها وكلها أمل فى أن تنصفها هذه الثورة الجديدة . وكانت مأساة كفر الدوار والحكم بالإعدام على قيادة العمال (خميس والبقرى) فى صورة مهزلة على شكل محاكمة مع تصريحات الحكام بأن الحكم سوف ينفذ فى مكان الحادث (أى أن الحكم مسبق) وكان الهدف كبت التحركات العمالية وقمع أى حركات شعبية آخرى لها مطالب ملحة .

هذه بعض الأخطاء الصارخة التى وقعت فيها السلطة الجديدة ولكن تحليل الحزب هو أيضاً كان جذرياً تحليلاً خاطئاً ، ومعتمداً على إستقراء سوابق حدثت فى شكل إنقلابات عسكرية تدبرها الطبقات الرجعية والإستعمار لإرهاب الجماهير الشعبية مثلما حدث من إنقلابات عسكرية فى سوريا حيث وقعت إنقلابات نذكر منها إنقلاب سامى الحناوى والشيشيكلى ، مما أعطى طابعاً أن تلك هى وسيلة الإستعمار فى كبت الحركات الوطنية والديمقراطية وكانت الأخطاء الخطيرة التى يقع فيها الحكام الجدد كل يوم تساعد على ترجيح هذا الرأى

وقد أصدر الحزب فى تحليله لمسألة السلطة الجديدة تقريراً مشهوراً تحت عنوان الخدعة الكبرى ومضمونه إن عصابة من أعوان المستعمرين وخاصة الإستعمار الأمريكى قد أطاحت بالنظام الملكى الفاسد والمكشوف أمام الجماهير للإتيان بنظام يفرض إشكالاً من الإرهاب أشد قسوة وعنفاً من سابقه ضد الجماهير بغية تنفيذ مخططات المستعمرين والتى عجزت الحكومات التقليدية عن تنفيذها وجوهرها إخضاع البلاد وشعبها لهذا الحكم الباطش والذى لا يعتمد على قانون أو دستور والذى لا يسمح بأية حريات لأية فئة أو

جماعة سوى حريات الحكام المطلقة من أجل تنفيذ المخطط الرئيسى وهو جر البلاد إلى مشروعات الحرب العدوانية التى يعد لها الإستعمار الأمريكى فالحكام عصابة تابعة ولا تمثل فئة إجتماعية إنما تمثل مصالح القوى الإستعمارية العالمية مباشرة بين موجات من التضليل والإرهاب ثم دعا الحزب إلى إسقاط العصابة الحاكمة عن طريق جبهة وطنية تضم العمال والفلاحين والمثقفين والبرجوازية الوطنية !!

ظل الحرب وأجهزته متخذاً هذا الخط وساعد على ذلك مظاهر عديدة تفسرها الطبيعة المزدوجة للفئات البرجوازية الوطنية المترددة ولكن الإصلاح الزراعى الأول كان يجب التوقف عنده فهو قد سار على نمط يساعد على توسيع السوق أمام البرجوازية المصرية ويقلم أظافر بقايا الإقطاع ويفتح بابا هو حق الفلاحين فى تملك أرض كبار الملاك وتلك خطوة هامة للأمام وإجراءات أخرى مثل تشكيل المجلس القومى للإنتاج لوضع سياسة لتصنيع البلاد وكان يجب فهم طبيعة السلطة الجديدة بإعتبارها سلطة البرجوازية الوطنية ضد بقايا الإقطاع وإن ديكتاتوريتها ضد أعداء الشعب من ناحية وضد أى قوى تعمل على ممارسة النشاط السياسى بشكل مستقل من ناحية أخرى فالبرجوازية الوطنية القابضة على السلطة لا ترغب فى أن تشاركها أى قوى أخرى وظلت تعمل على إيجاد أشكال من التنظيم السياسى هيئة التحرير ثم الإتحاد القومى ثم الإتحاد الإشتراكى بهدف وضع كل القوى الطبقية والشعبية الآخرى من عمال وفلاحين والمثقفين تحت نفوذ وقيادة المجموعة الحاكمة الجديدة وظلت فكرة الإستئثار بالسلطة مستمرة حتى وفاة عبد الناصر ورغم كل ما إتخذته السلطة الجديدة من خطوات تقدمية من الناحية الإقتصادية والوطنية ورغم رفعها لشعار الإشتر اكية بل والإشتراكية العلمية

فإن ديكتاتورية البرجوازية الوطنية ظلت هى السمة السائدة لشكل الدولة ديمقراطية وديكتاتورية البرجوازية الوطنية ضد الإستعمار وكبار الملاك وكبار الرأسماليين من ناحية وضد الشعب من ناحية آخرى إنها شكل جديد لسلطة جديدة تميزت أيضاً ببروز دور الفرد وسلطته المطلقة بالنيابة عن هذه الطبقة

كانت أخطاء الحزب السياسية بالإضافة إلى ظروف الإرهاب الباطشة قد أدت إلى ضعف قوى الحزب بعد نجاحه منذ تأسيسه وحتى أواخر ١٩٥٤ فى إكتساب قوة كبيرة لا تتناسب مع الفترة الوجيزة التى مارس فيها نشاطه وكان لا بد أن يراجع الحزب مواقفه

ومع تطور الأحداث برز على السطح التصادم بين الحكام والإستعمار فثمة محاولات دائمة من الإستعمار الأمريكى الجديد لجذب الحكام إلى جانب مشروعاتهم والضغط عليهم بالإمتناع عن تلبية حاجات الحكام إلى تسليح الجيش المصرى وتقويته وكذا رفض تقديم مساهمات إقتصادية أو معونات فنية لدفع الإقتصاد المصرى أية فى طريق التنمية ، وموالاه تقديم شروط تعمل على فرض سياسات ملائمة للأغراض الإستعمارية

ولكن عبد الناصر بعد أن إنفرد تماماً بالسلطة وقف فى مواجهة هذه السياسات وكانت أول صدمة وجهت للغرب كافة هى إقدامه على التعامل مع المعسكر الإشتراكى عن طريق صفقه الأسلحة التشيكية ١٩٥٥ ومقاومة مشروعات الإحلاف الإستعمارية وخاصة حلف بغداد ثم إنتهاج سياسته الحيادية بين المعسكرين وما سمى بعد ذلك بسياسة الحياد الإيجابى وإنعقاد مؤتمر باندونج تتويجاً لسياسة عدم الإنحياز وظهور قيادة جديدة لهذه السياسة يساهم فيها عبد الناصر بدور بارز إلى جانب نهرو الزعيم الوطنى الهندى وتيتو الزعيم اليوغسلافى لقد بدأت تتبلور بوضوح سياسة وطنية جديدة وبرزت

أيضاً تطلعات عبد الناصر لتصنيع البلاد . وبرز الإتجاه لإنشاء صناعة ثقيلة كخطوة ضرورية للتنمية الإقتصادية عمادها الطاقة وإنتاج الحديد والصلب ولم يجد لدى الغرب أى تشجيع أو مساعدة . فإتخذ من تأميم قناة السويس رداً على البنك الدولى ورفضه تمويل مشروع إنتاج الطاقة الكهربائية " مشروع السد العالى " ولم يلبث الغرب أثر تأميم قناة السويس أن دبر العدوان الثلاثى الإنجلو فرنسى وبمشاركة إسرائيل ورفض عبد الناصر أى موقف تهادنى مع الإستعمار وسانده الإتحاد السوفيتى فى إفشال هذا العدوان وإشتعلت الحرب والمقاومة وإحرز عبد الناصر نصراً وطنياً كبيراً

وحاول الحزب الشيوعى منذ عام ١٩٥٥ العمل على تغيير خطه السياسى بتأييد السلطة الحاكمة والتخلى عن التحليل السابق بتقديم تحليل جديد يزعم أن الظروف الجديدة قد ظهر معها " برجوازية من نوع جديد " وهذه الفكرة بها جانب تلفيقى لإنتخاذ خط جديد

والحقيقة إن عبد الناصر لم يكن يعبر عن مثل هذه البرجوازية من نوع جديد ، وإنما كان يمثل أساساً البرجوازيـــة الوطنية فى ظروف جديدة بقيادة جديدة كان يمثل تلك البرجوازية الوطنية بكل تناقضاتها وطبيعتها المزدوجة وفئاتها غير المتجانسة ، وترددها بين الشعب وأعدائه إن الجديد هو الظروف العالمية التى سادت فى تلك الفترة التاريخية . حيث أخذت الحركة الإشتراكية طابعاً عالمياً وأحرزت إنتصارات هامة كما نهضت حركات التحرر الوطنى فى القارات الثلاث كل هذا أكسب كفاح البرجوازية الوطنية جرأة فى تحدى قوى الإستعمار العالمى ، ونيل مساعدات هامة من القوى التحريرية ، والتأييد من قوى الشعب المتطلع إلى إستكمال إستقلاله والسير على طريق التنمية والتقدم وأجمعت الحركة الشيوعية بتنظيماتها وخاصة بعد العدوان الثلاثى

وحرب التحرير ١٩٥٦ ومساهمة الشيوعية فى حركة المقاومة والقيام بدور بارز سجلوا فيه حرصهم على إستقلال البلاد والتخلص من العدوان ، وأجمعت على السعى إلى توحيد الشيوعين فى حزب واحد

وتقاربت الإتجاهات السياسية بين هذه التنظيمات المتعددة وبدت الإختلافات وكأنها تتلاشى . ولم يعد هناك سوى الإرتباطات التاريخية ، وأثر التربية الكفاحية السابقة كعوائق تقف فى وجه محاولات توحيد الحركة الشيوعية وسعت الأطراف الأساسية فى التنظيمات الثلاثة الرئيسية إلى الإلتقاء للإعداد لوحدة الشيوعين المصريين فى حزب واحد

وكان من الواجب أن تتم الوحدة على أسس فكرية واحدة وأسس تنظيمية وكفاحية واحدة وأن يتم ذلك بعد حوار يعتمد على المصارحة وإحترام الأراء المتباينة وفى إتجاه إنصهار الأفكار وبلورتها وكان لابد لذلك من فترة تدور فيها محاولات إيجاد الأرضية المشتركة للفكر الثورى الذى يستهدف وضوح الأهداف ويدعم سبل الكفاح . ولكن يبدو أن تجارب الوحدة السابقة والتى تمت أساساً بين الحركة المصرية وأسكراً وتمخصت عنها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى والتى إنتهت بالتمزق والإنقسام نظراً لغياب التنظيم المسلح بفكر سياسى موحد وأهداف إستراتيجية وتكتيكية واضحة وبنيان تنظيمى على أسس نظرية متفقة مع الواقع يبدو أن مثل هذه التجربة عادت لتتكرر مرة آخرى فثمة محاولات لفرض تيار تاريخى يعينه إعتماداً على الأساليب اللامبدأية حيث سادت التكتلية والإتصالات الجانبية والخطط التآمرية ونظراً لأن محاولات التوحيد المرتجلة والمتعجلة والمبنية على إقتسام المراكز القيادية دون الإلتزام بأى مبدأية نظرية أو تنظيمية قد أثر فى محاولات الوحدة الجديدة والتى إتخذت مرحلتين مرحلة إنتهت إعلان الوحدة بين الحزب الشيوعى

المصرى وحدتو فى ١٩٥٧ فى شكل الحزب الشيوعى المتحد ثم تلتها مرحلة آخرى بإعلان حزب يناير ١٩٥٨ أى الحزب الشيوعى المصرى الموحد بعد الإتحاد مع حزب " حزب العمال والفلاحين الشيوعى "

وهذا الحزب الجديد لم يلبث أن تعرض بدوره للمؤامرات الحلقية وتعرض للتكتلات والإنقسام من جانب المسئولين القياديين وإننا نلاحظ أن الضغوط الخارجية وخاصة السياسة الإرهابية والمعادية للحريات من جانب الدولة من ناحية وبسبب التفكك الفكرى والكفاحى من ناحية آخرى قد عرض الحزب تنظيماً إلى الإنقسام وتعدد المنابر

ففى عام ١٩٤٧ عندما أعلنت الأحكام العرفية وبدأت حملة إرهابية قاسية تعرضت حدتو " بعد الوحدة التى إستمرت حوالى عام إلى ظروف إرهاب وإعتقالات واسعة . ولما كانت الوحدة الفكرية والتنظيمية مفتقدة تناثر التنظيم وتحول إلى تكتلات وتنظيمات جديدة . منها التكتل الثورى العادلين الشنديين اليونسين صوت المعارضة نحو منظمة بلشفيه المنظمه الشيوعية المصرية هذا عدا التنظيمات الآخرى التى كانت كائنة خارج التنظيم الرئيسى

وكذا وبالمثل حدث أيضاً فى عام ١٩٥٩ عندما شن عبد الناصر حملته الواسعة النطاق المعادية للشيوعية وإعتقل فيها الآلاف وفتح معسكرات التعذيب وأقام المحاكمات العسكرية وأزهق أرواح المكافحين ونفى الجميع فى صحارى الواحات ومعتقلات الفيوم وأبى زعيل والقلعة حدث أن واجه الحزب إنقسامات مدمرة ونظراً لإنها لم تكن وحدة مبدأية إنما كانت تجميعاً لقوة عددية وتوزيعاً للمناصب القيادية مع التشتت الفكرى ، ذلك التشتت قد عبر عن نفسه بعد ذلك فى شكل إنقسامات سياسية أساسية ساعد عليها بلا شك أن السجون والمعتقلات تفرز أفكاراً مجردة لا تقوم على واقع الحركة السياسية فى المجتمع ولقد تبلورت هذه الإتجاهات الثلاثة فيما يلى .

١- إتجاه يمنى يعتمد أساساً على فكرة إنه توجد فى قمة السلطة مجموعة إشتراكية على رأسها عبد الناصر تسير بالبلاد فى طريق الإشتراكية ودليلها على ذلك إجراءات التأميم عام ١٩٦١. وإن هذه المجموعة الإشتراكية قد خطت الخطوات الأولى نحو إقامة مجتمع إشتراكى ، ومثل هذا الإتجاه أحدث إنقساماً قادته حدتو وبعض المجموعات ثم تطورت أفكار هذه المجموعات إلى الدعوة لتصفية التنظيم القائم وترشيح تنظيمات عبد الناصر لأداء الدور الطليعى إعتماداً على التنظيمات الحكومية التى أقامها وضاعت فى الطريق التعاليم النظرية الخاصة بدور الحزب والطبقة وأهمية السلطة ودورها فى التحول الإشتراكى حقاً إن هناك العديد من أشكال الإنتقال للإشتراكية ولكن هناك شروطاً رئيسية لا بد من توافرها لتحقيق ذلك من أساسياتها مشاركة الطبقة العاملة وحزبها السلطة السياسية فى شكل تحالف واسع مع الطبقات الوطنية الآخرى

٢- إتجاه يسارى يرى أن السلطة السياسية فى أيدى من يمثلون البرجوازية المصرية التى وصلت إلى درجة الإحتكار وأن التأميمات ما هى إلا شكل لرأسمالية الدولة الإحتكارية وإنه لا مجال للمناورة والهدف إسقاط دولة البرجوازية من أجل إقامة سلطة الطبقة العاملة وعجز هذا التيار عن رؤية وضع البلاد المتخلف إقتصادياً وإن رأسمالية الدولة فى بلادنا إنما كانت تعبيراً عن مصالح البرجوازية الوطنية لمواجهة الضغوط الإمبريالية من أجل أحداث تنمية مستقلة وإنه كما توجد أشكال لرأسمالية الدولة الإحتكارية فى البلدان الرأسمالية المتقدمة بهدف تحميل الطبقات الشعبية هناك أعباء المصالح الرأسمالية التى تتعرض لأى إنهيار بتدخل الدولة لحمايتها ، فإنه توجد فى البلدان الإشتراكية كما أوضح لينين أشكالاً لرأسمالية الدولة الإشتراكية بهدف قيام دولة العمال بإنجاز مهمات البناء الإشتراكية

وكذا وبنفس المقاييس تعتمد البلدان الوطنية المستقلة على شكل لرأسمالية الدولة لإقامة ركيزة إقتصادية فى مواجهة الضغوط الخطيرة التى تتعرض لها من المصالح الإمبرالية العالمية . وهذه تعتبر شكلاً من أشكال رأسمالية الدولة الوطنية تعتمد على قطاع عام قادر على أحداث تنمية بنسب أعلى من مجرد إطلاق حرية التعامل للسوق الرأسمالية . إن هذا الشكل يعتبر شكلاً تقدمياً فى هذه البلدان المتخلفة والمستقلة حديثاً وحاميا لها إلى حد كبير من الوقوع فى براثن التبعية وسيطرة البرجوازية العميلة .

٣- أما التيار الثالث فإنه أعتبر حينئذ أن السلطة إنما تمثل الفئات الدنيا من البرجوازية الوطنية المتأثرة بالفكر الإشتراكى والتى يمكن أن تسير بالبلاد فى طريق التطوراللارأسمالى وقد تغاضى (هذا الإتجاه يمينى أيضاً) عن أن المقصود بالطريق اللارأسمالى هو عبور هذه المرحلة فى بعض البلدان التى لم تنشأ فيها رأسمالية أصلاً . ويمكن بفعل الظروف العالمية (حينئذ أيضاً) أن تعبر هذه البلدان طريق الرأسمالية الملىء بالالام بشرط سيطرة الحزب الماركسى على السلطة ووضع أسس الإنتقال إلى الإشتراكية . وقد نسى هؤلاء أن مصر قد ولدت فيها الرأسمالية منذ القرن التاسع عشر وإنها نمت بقوة فى فترة ما بين الحربين ورغم ضعفها إقتصادياً إذا قورنت برأسمالية البلدان المتقدمة فإن لها جذورها وآلياتها الكامنة فى الإقتصاد المصرى .

وأحدث التيار الأولى إنقساماً للتفاهم مع السلطة والقمة الإشتراكية وإنتهى بحل التنظيم لقد أفصحت الظروف ، وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ العسكرية عن فساد رأى هذا الإتجاه حيث تم حل التنظيم وتسليم السلطة الحاكمة زمام الكفاح من أجل الإشتراكية مضحياً بفكرة التنظيم المستقل كما إتفق التياران الآخران بعد الإفراج عن المعتقلين عام ١٩٦٤ وإعتماداً على

مؤتمر تصفوى عقد خصيصاً إتفقا على حل التنظيم فى أواخر ١٩٦٤ .أما من تصدى لهذه الفكرة التصفوية فى هذا المؤتمر فقد تكلفت الدولة بإعتقاله !!

والخلاصة إن هذا الجيل من الشيوعين قد سلم القيادة للسلطة الحاكمة وأوكل إليها السير بالبلاد فى طريق الإشتراكية !! ، ولم تلبث السلطة الحاكمة أن وقعت فى مصيدة الإمبرالية ووقعت الهزيمة الكبرى ١٩٦٧ وإنقسم الحكام وألقيت المسئولية الأساسية لهذه الهزيمة البشعة والتى أدت إلى إحتلال سيناء بأكملها على قيادات الجيش !!

ثم كانت محاولة تحديث الجيش وتقويته مرة آخرى إعتماداً على الإتحاد السوفيتى والعمل على إعداد البلاد مرة أخرى لخوض حرب تحريرية ضد الصهيونية ومن خلفها أمريكا ومات عبد الناصر وتقلد السادات مسئولية الحكم وقيادة الدولة ودار صراع فى قمة السلطة بين المجموعة الإنهزامية التى إدعت الإشتراكية طويلاً ، وبين السادات وإتجاهه الإنقلابى الجديد وبعد أن أحكم السادات قبضته أخذ يسير بالبلاد خطوة فأخرى من أجل التفاهم مع الإمبريالية الأمريكية وإضطر السادات إلى خوض حرب أكتوبر بعد أن سدت فى وجهة سبل التفاهم ، وبعد أن نصحة الأمريكان بالجلوس مع الصهانية والتسليم بإنه مهزوم وإستفاد من التطور الذى حدث فى الجيش بعد تحديثه وتسليحه من جديد فى دخول معركة محدودة ونظراً للقدرات العالية التى بذلها قادة الجيش وجنوده وما أظهروه من وطنية فائقة وجدارة قتالية عالية ، فقد كسبت مصر موقعاً جديداً جعلها جديرة بأن ترفع رأسها وأعطى ذلك فرصة للسادات مكنته من التفاهم والتفاوض والتصالح مع العدو ثم الإستداره سياسياً بالبلاد بدرجات واسعة إلى الردة الكاملة عبر كل ما قيل عن طريق الإشتراكية الناصرى أو تحديد الأعداء بإنهم الصهيونية والإستعمارية

الأمريكية وبالتالى عن الأهداف القومية العربية ثم لم يلبث أن بدأ التحول مرة آخرى إقتصادياً نحو سياسة الإنفتاح الإقتصادى ثم التخلى عن كل المفاهيم الخاصة بالتنمية المستقلة والإعتماد على التخطيط الإقتصادى ففتح الباب مرة أخرى أمام رؤوس الأموال الأجنبية بلا ضوابط مع تشجيع الفئات الطفيلية المحلية وطالما إن البلاد كانت تعانى من سياسية القهر التى سادت خلال سيطرة عبد الناصر منذ ١٩٥٢ وحتى وفاته تقدم السادات بإسم الحديث عن الديمقراطية وتعدد المنابر ثم الأحزاب فاقدم على صياغة شكل جديد للدولة إعتماداً على إطار دستورى وقانونى جديد يقيم عن طريقه تحالفاً جديداً بين الأقسام العليا من البرجوازية الوطنية والأقسام الطفيلية من البرجوازية المحلية بالإضافة إلى نفوذ أجنبى جديد وما أن إستقر به الأمر فى السلطة حتى كرس حكم الفرد ثم عاود ممارسة أساليب القمع عاملاً على تقسيم عناصر الأمة وإنتهاج سياسة إستمالة القوى السلفية لمواجهة عناصر التقدم وخاصة بين الطلاب وفى الشارع السياسى وأدت سياسته الإرهابية إلى أن يسقط هو نفسه ضحية الإرهاب وبيد العناصر السلفية التى طالما شجعها وتلخيصاً يمكن القول أن الساداتية تمثل شريحة عليا من البرجوازية المصرية تعمل على تكملة نتائج هزيمة ١٩٦٧ بالإنسكاس بالمكاسب الوطنية والتاريخية لكفاح الجماهير والإرتداد عن الإنجازات الإقتصادية التى حققتها فئات البرجوازية الوطنية التى قادها عبد الناصر تم إنتهاج سياسة خارجية تحمل بذور التبعية وتضع موارد البلاد فى أيدى دعاة النهب وتخريب الإقتصاد الوطنى وبإختصار ما هى الساداتية ؟

١- التفاهم مع الإمبريالية الأمريكية والصهيونية وإتاحة الفرصة أمامهما للهيمنة على المنطقة بغض النظر عن تداعيات حرب أكتوبر والتى عبرت

إنتصاراتها عن وطنية الضباط والجنود المصريين بمساعدة الأسلحة والمعونة العسكرية السوفيتية تلك الحرب التحريرية التى لم يلبث السادات أن إستخدامها وسيلة لإقامة الجسور مع الأعداء

٢- السعى نحو قطعية مع الإتحاد السوفيتى والإنحياز إلى الغرب وخاصة الإمبريالية الأمريكية صاحبة أوراق اللعبة

٣- الإنتكاس بإتجاهات التنمية المستقلة وفتح السوق المحلية (مدرسة الوطنية للبرجوازية) لرؤوس الأموال الأجنبية بلا ضوابط وتمكين النفوذ الإقتصادى الأجنبى من البلاد مرة أخرى ومساعدة الإتجاهات الرأسمالية الطفيلية على الإزدهار

٤- فرض أشكال من الحكم الإرهابى وسيطرة حكم الفرد والإتجاه نحو سلب الجماهير ما أحرزته من مكاسب خلال الحقبة التاريخية من ١٩٥٢ حتى هزيمة ١٩٦٧

من أجل إقامة ديمقراطية وطنية جديدة

كانت الإشتراكية وستظل أملاً للمستغلين والفقراء أملاً للأغلبية الساحقة ، ولطالما كافحت الجماهير من أجل إقامة نظام إجتماعى يحقق لها الرفاهية والحرية والسلام كافحت ضد الإستعمار بإعتباره شكلاً من أشكال السيطرة الأجنبية والنهب والإستغلال وكافحت ضد إستبداد كبار الملاك وتآمرهم مع الأجنبى ضد الشعب ، وحين أستولت البرجوازية الوطنية على الحكم أيدتها الجماهير فى المعارك الوطنية ، وحين وعدتها البرجوازية بحلم الإشتراكية شجعتها الجماهير ، ولكن إنفراد البرجوازية بالسلطة ، وفرض ديكتاتوريتها على حركة الجماهير كان له أو خم العواقب لقد فرضت

وصايتها على الجماهير مما أتاح للمستعمرين التآمر وضرب إستقلال البلاد مرة أخرى متخذاً من صنيعته الصهيونية ركيزة لتنفيذ مخطط للإنتكاس بمجرى الثورة ووضع البلاد فى إطار سياسة التبعية .

إن الإستعمار العالمى قد غير من وسائله القديمة وإستبدلها بوسائل جديدة هى النمط الذى تواجهه بلادنا وجماهير شعبنا ، كما تواجهه رقعة واسعة من سكان الكرة الأرضية والمدرجة تحت إسم البلدان النامية !! أو بالأحرى البلدان الفقيرة وهذه البلدان درجات فى فقرها وتخلفها ولكنها جميعاً تتعرض لنفس الوسائل التى يحاول فرضها ما يسمى بالنظام العالمى الجديد وتتعرض بلادنا وبلدان المنطقة العربية عموماً إلى مخططات مزدوجة من الإمبريالية العالمية من جانب ، ومن الصهيونية العالمية من جانب آخر إعتماداً على ركيزتها دولة إسرائيل التوسعية العدوانية ويكمل الثالوث الذى نواجهه اليوم تلك القوى البرجوازية ، وخاصة الفئات الطفيلية والبيروقراطية كعنصر رئيسى تعتمد عليه القوى الخارجية كما تعتمد فى نفس الوقت على الأنظمة التابعة والإستبدادية فى البلدان العربية

لقد مضى أكثر من أربعين عاماً منذ صدور " تقرير تطور الرأسمالية " وخلال هذه الحقبة الممتدة تشكلت جبهة جديدة من الأعداء وبالتالي تحددت أهداف أخرى جديدة

فمنذ أن صاغ السادات شكل الحكم فى البلاد ، تحت شعار الشرعية القانونية بدلاً من الشرعية الثورية ، ومنذ أن أدار وجهه نحو طريق التبعية للإمبريالية العالمية ، وطريق التهادن مع الصهيونية فإنه فى مجمل القول قد عمل على تشكيل تحالف طبقى جديد بين الفئات العليا من البرجوازية المحلية والبيروقراطية الحاكمة والأقسام الطفيلية من الفئات البرجوازية المنتفعة . وفى

ظل إطار وواجهة شكلية من الديمقراطية الليبرالية المشوهة ومحاولة جذب فئات من البرجوازية الوطنية لعزلها عن المطالب الديمقراطية الوطنية الملحة مع العمل الدائب على صياغة عقل وضمير الجماهير بطريقة نفعية إستسلامية جديدة إعتماداً على إعلام سلطوى ذى نفوذ ساحق ، ومنذ ذلك الحين والجماهير تتعرض فى حقوقها للإنتكاس بإسم السير على طريق إقتصاد السوق

إن الجبهة المعادية تبنى خططها على أساس وضع البلاد على خطوط من التنظيم الإقتصادى يحقق إقتصاداً تابعاً بإسم طريق التطور الرأسمالى وبالتالى تصفية كل أثر لدور الدولة فى التنمية بالعمل على تصفية القطاع العام وبإسم تشجيع القطاع الخاص تتم الدعوة إلى الإقتصاد الحر ، وتحويل الملكية العامة إلى الملكية الرأسمالية مع قبول المعونات المشروطة التى تهدد الإستقلال الإقتصادى فى الزراعة والصناعة ووسائل التمويل مع العمل على إغراق البلاد فى سياسة القروض التى تؤدى إلى تحكم المؤسسات الرأسمالية العالمية (صندوق النقد الدولى + البنك الدولى) فى إقتصاديات البلاد والخضوع لتوجيهات ونصائح المؤسسات الرأسمالية الدولية لأحداث هذا التحويل الضرورى والسير فى طريق التبعية الإقتصادية

إنها سياسة مرسومة على النطاق العالمى مؤداها تحويل كافة البلدان المتخلفة إلى رقعة تحقق للرأسمالية العالمية هيمنتها الشاملة على العالم وتحقق ما يساعد النظام الرأسمالى العالمى على إستنزاف موارد هذه البلدان الفقيرة والمتخلفة وأيضاً لتخفيف أزماته على حسابها ؛ وفى السياسة كما فى الإقتصاد تعمل المنظمات الإمبريالية العالمية على تنفيذ سياسة الأحلاف والقواعد العسكرية والتدريبات المشتركة ونشر الحروب الصغيرة وعقد صفقات السلاح وجر هذه البلدان إلى المغامرات التى تحقق للإمبريالية مصالحها مع

تقديم أشكال من السيطرة الجديدة بإسم قيام أنظمة للأمن إقليمية وعالمية أى أمن الإمبرالية وتسعى الإمبريالية العالمية إلى تقسيم الأنظمة الحاكمة فى البلدان التابعه والمتخلفة إلى أنظمة تنال رضاها وأخرى تغضب عليها فتجتمع قوى الإمبريالية لتأديبها وفرض شروطها عليها

إن توجيه السياسة والإقتصاد المصرى والعربى هذه الوجهة بذريعة إنتهاج خط التطور وفق إقتصاد السوق إنما يستهدف فى حقيقة الأمر تحويل الإقتصاد المصرى والعربى إلى إقتصاد وسياسة تابعة .

وهل يمكن للرأسمالية المصرية أن تقف على قدم المساواة فى المنافسة العالمية للإنتاج والتكنولوجيا المتقدمة ؟

إن الإقتصاد المصرى بالسير على خطوط رأسمالية بحته لن يجلب للبلاد إلا التحول إلى سوق تابعة وبلد تابع وسوف يؤدى هذا بالضرورة إلى فرض سلطة تابعة ، وليس هناك من أمل أمام البلاد ومستقبلها إلا إنتهاج طريق آخر هو طريق التطور المستقل

طريق التطور المستقل

وهذا الطريق يعتبر الطريق الوحيد والسليم القادر على إنقاذ البلاد وحل مشاكلها الملحة فمن المعروف إن التطور الحادث فى العالم يتسارع بنسب كبيرة نظراً للتقدم العلمى والتكنولوجى المذهل وإنه بات مفروضاً على البلاد السعى إلى اللحاق بما حققته البلدان المتقدمة من وفرة فى الإنتاج وتقدم إقتصادى بشكل عام وإن هذا يستلزم حشد وتعبئة كافة الموارد الإقتصادية والإجتماعية لتحقيق خطوات واسعة فى التنمية لتضييق الفجوة الهائلة بين التخلف الإقتصادى الذى نعانى منه ، والتقدم الخطير الذى حققته البلدان

المتقدمة وهذا لن يتم إلا بإنتهاج أسلوب التخطيط الإقتصادى ووضع الأولويات الضرورية لتحقيق درجات من التقدم لتوفير حاجات الجماهير وبالتالى توفير قدر مناسب من الحياة الحرة للجماهير التى طال حرمانها

ومثل هذه الأهداف لا يمكن تحقيقها بحركة تلقائية من التطور الرأسمالى البطىء والعشوائى والذى تحقق للبلدان المتقدمة فى أكثر من ثلاثة قرون وعلى حساب إستغلال بشع للطبقة العاملة الأوربية وإستنزاف موارد المستعمرات

إن طريق التطور المستقل إنما يعنى فى جانبه الإقتصادى الإعتماد على التخطيط ودور الدولة فى قيادة قطاع عام قوى ،ومؤثر بالإضافة إلى تحديد دور حيوى للقطاع الخاص الوطنى مع الإستعانة بالمعونات والقروض غير المشروطه وتقوية دور المراكز العلمية والتكنولوجية التى تعمل على دفع التطور الإقتصادى الصناعى والزراعى خطوات كبيرة إن هذا الطريق إنما يعنى أحداث معدلات سريعة من التنمية المستقلة متجنباً كل ما يعرض إقتصاد البلاد للتبعية الإقتصادية .أما من الجانب السياسى فإن هذا الطريق إنما يعنى تحقيق أوسع أشكال الحريات السياسية والممارسة الديمقراطية كضرورة أساسية لتعبئة الجماهير من أجل تحقيق مصالحها الإقتصادية والسياسية والإجتماعية

فبدون حركة ديمقراطية واسعة فإنه من العسير إنجاز معدلات عالية للتنمية ولن يكتب النجاح لأى خطة فيما لو إعتمدت فقط على قيادة البيروقراطية الحكومية وهى ضرورة أيضاً لأن مثل هذه الحريات الواسعة إنما تمكن الجماهير أيضاً من الدفاع عن مصالحها الحقيقية ضد محاولات الإنتكاس بمكاسبها أو التحول نحو سياسة التبعية وهى أيضاً الوسيلة الحقيقية للقضاء على أمراض أساسية تصيب عمليات التطور إعتماداً على سلطة الدولة وأمراض البيروقراطية والفساد إن برنامج طريق التطور المستقل إنما يعنى فى جوهره :

١- البناء الإقتصادى المستقل الذى يعتمد على التخطيط ويهدف تعبئة موارد البلاد والتنمية فى إطار ديمقراطى وإعتماداً على العلم والتقدم العلمى والتكنولوجى ، وحشد الطاقات الفنية والبشرية وعلى توسيع قاعدة الملكية العامة للجماهير

٢- إلغاء كافة القوانين والإجراءات المقيدة للحريات وضمان حرية القول والنشر وإصدار الصحف ، وكافة وسائل التعبير والتنظيم والإضراب والتظاهر طالما إستخدمت الوسائل السلمية فى ذلك

٣- تحقيق المصالح الحيوية للجماهير فى الصحة والتعليم وتقديم كافة الخدمات الضرورية كحقوق طبيعة للمواطنين وكعامل رئيسى لتأكيد الإنتماء الوطنى والإحتشاد من أجل البناء والتقدم والدفاع الطبيعى عن المصالح القومية والإنسانية

٤- تحقيق المساواة الحقيقة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات دون نظر إلى التفاوت الإجتماعى أو التمييز بين الأفراد على أسس من دين أو جنس مثل هذا البرنامج الأساسى يحتاج إلى برنامج تفصيلى قائم على

اولاً: دراسة علمية للأوضاع الحالية الإقتصادية والإجتماعية وخاصة فى الريف المصرى والعلاقات الخاصة بإشكال الملكية والإستثمار وتطورها

ثانياً دراسة تطور الإستثمار الرأسمالى منذ أوائل السبعينات حتى الآن وما أثمر من تطور فى العلاقات الإنتاجية ودرجات تركز رأسالمال

ثالثاً : " دور البنوك الوطنية وعلاقتها بالبنوك الأجنبية وآثر نشاطات كل منها على الإقتصاد المصرى وعلى عملية التنمية وعلى الإستقلال الوطنى

رابعاً: تحديد لقوة الرأسمالية الطفيلية ودورها فى تخريب الإنتاج وتهميشه وإستنزاف موارد البلاد وتهريبها إلى الخارج

خامساً: أثر التطورات الإقتصادية الإنفتاحية على حالة الجماهير المعيشية فى الأجور والأسعار والخدمات وظروف العمالة والبطالة وحالة الخدمات الأساسية

إن البرنامج الخاص بطريق التطور المستقل إنما يعنى الكفاح من أجل خطوة جديدة فى طريق التطور الإشتراكى ، ومثل هذا البرنامج إنما يهدف إلى تحقيق جبهة جديدة من الطبقات الوطنية ، العمال والفلاحين والمثقفين الوطنين وفئات الرأسمالية الصغيره والمتوسطه لإكمال الثورة الديمقراطية وإقامة سلطة وطنية جديدة من هذه الطبقات المتحالفة حتى يمكن فتح الطريق إلى الإشتراكية والتقدم إنها ديمقراطية وطنية جديدة

وهذه الديمقراطية الجديدة تحتاج إلى حلف طبقى جديد تقوم الطبقة العاملة فيه بدورها القيادى عن طريق حزبها المستقل

الديمقراطية الوطنية الجديدة والأوضاع العالمية

إن ظروف الكفاح فى جميع البلدان المتخلفة ومن بينها بلادنا تتعرض اليوم لإعصار مدو إذ تحاول الإمبريالية العالمية فرض هيمنتها الشاملة على العالم تستخدم فى ذلك سلاح التنظيم الدقيق

فثمة سبعة كبار من الدول الرأسمالية المتقدمة هم مجلس إدارة النظام الرأسمالي العالمى يجتمعون بشكل منتظم لمناقشة مشاكل العالم ورسم السياسات بما يحقق لهم فرض مخططاتهم وتكثيف إستغلالهم لشعوب الأرض جمعاء والتخفيف من التناقضات القائمة بينهم .

٤- والأعتى من ذلك أن الأساليب الإقتصادية التى لم تؤكد تفوقهم تنظم عملية السيطرة الإقتصادية على سائر بلاد العالم ، بتدويل الإنتاج ، ومنح

المعونات المشروطة والقروض التى يغرقون بها سائر البلدان المتخلفة وعن طريق أسداء النصيحة وتوجيه إقتصاديات البلدان المحتاجة والتحكم فى مصادر الثروة بها ، وكذا فى خبزها اليومى

وأيضاً أساليب عسكرية جوهرها إقامة الإحلاف والأنظمة الأمنية الأجنبية ونشر القواعد العسكرية وتنظيم تجارة السلاح وإشعال الحروب الصغيرة والمحلية وإثارة النعرات المختلفة تغذية لهذه السياسة والسعى عالمياً إلى التفوق العسكرى الشامل وتدريب الأعوان فى كافة أنحاء العالم ، وتنظيم سلسلة عالمية خطيرة من شبكات المخابرات والقيام بالعمليات القذرة فى سائر أرجاء الأرض

٤- ثم إستخدام أرقى ما وصلت إليه الأساليب العلمية وإحتكار عناصر التطور التكنولوجى الحديث وخاصة فى مجال السلاح والمخابرات لتحقيق وسائل السيطرة والهيمنة على العالم

٥- إستخدام الميديا " الحديثة المبهرة لترسيخ مفاهيم المجتمعات الرأسمالية وتمجيد هذه المفاهيم مع العمل على الحط من القيم الإنسانية والنضالية وإعتبار أمراض الرأسمالية المزمنة

أموراً طبيعية وتحقير الأفكار والتجربة الإشتراكية ووصفها بالمجمود والعقائدية وتقديم فكرة الديمقراطية بشكلها الليبرالى بإعتبارها الشكل الوحيد الذى يكفل حرية الشعوب والزعم بأن تدخل الدولة فى مجال الإقتصاد يخل بالحريات ولديهم فى ذلك بعوث جاهزه فهذه دولة شمولية وتلك ديكتاتورية وأخرى سلطوية وإنه ليس من سبيل إلا بإنتهاج الوصفة الليبرالية أى الرأسمالية وتتجاهل هذه الأفكار ما جلبته النظم الرأسمالية عامة من حربين

عالميتين وحرب باردة وسباق مجنون للتسليح وترسانات مروعة من أسلحة الدمار الشامل مع ما يصاحب ذلك من تدمير للموارد وإتلاف لعناصر البيئة التى تصون الكوكب الذى نعيش عليه

وفى الوقت الذى تسيطر فيه الإمبريالية العالمية تلك السيطرة الشاملة ، يصاب المعسكر الإشتراكى بنكسة هائلة لقد تراجعت الإشتراكية عالمياً أمام هجوم منظم للنظام الرأسمالى هجوم فى شتى الميادين ففى إطار التوازن النووى وما يسمى بفترة الحرب الباردة عمدت الإمبرالية العالمية إلى تنفيذ مخططها المسمى إحتواء الشيوعية " متخذة من ثورة المعلومات وبالميديا الحديثة " وسيلة رئيسية لحرب مكثفة ضد الأنظمة الإشتراكية ،

بتضخيم الحقائق والمبالغة فى تصوريها وإصطياد الأخطاء وشن حرب مكثفة ومتواصلة من أجل هزيمة الأنظمة الإشتراكية وبذكاء شديد إستغلت الأخطاء الجسيمة التى وقعت فيها هذه الأنظمة ولعل أفدح هذه الأخطاء هو عجز الأنظمة الإشتراكية عن تقديم شكل جديد للديمقراطية الإشتراكية يعتمد على وعى وحرية الجماهير بحيث تتطابق فى آخر الأمر مصالح الجماهير العاملة وحريتها مع توجهات الدولة

إن أخطر هذه الأخطاء لم تكن المنافسة الإقتصادية كما تحاول أن تظهر أجهزة الدعاية الرأسمالية ،إنما يرجع إلى وقوع تلك الأنظمة فى خطأ خطير هو الفصل بين النظرية اللبنيية والخاصة بقضية الديمقراطية والتطبيق المنحرف لها

فالديمقراطية الإشتراكية هى البديل الذى قدمته النظرية اللينينية للديمقراطية الليبرالية البرجوازية وكان لابد بالبديهة أن تكون فى النظرية وفى التطبيق أيضاً ، أن تكون شكلاً جديداً للديمقراطية تحقق للجماهير حريات أوسع

وحقوقاً أشمل وأكمل مما تحققه الديمقراطية الليبرالية البرجوازية ولكن الإنفصال بين النظرية والتطبيق فى هذا المجال كان عاملاً إستغلته القوى المعادية للإشتراكية

أما فى مجال الإنجاز الإقتصادى فقد حققت البلدان الإشتراكية تقدماً هائلاً ولكن عقد المقارنة بين الإنجازات فى النظامين أى بين النظم الرأسمالية التى وجدت منذ أكثر من ثلاثة قرون من الزمان

فهذه النظم لم تجد فرصتها للتنمية فى ظل الإشتراكية سوى أربعة عقود فقط بالإضافة إلى ماعانته هذه النظم من حروب التدخل والغزو الفاشى والحصار العالمى المفروض عليها فالتطور الإقتصادى لا يتم بين يوم وليلة إذ إنه يعتمد على الموارد المتاحة وعلى العلم والتكنولوجيا وعلى التخطيط وطاقات الجماهير العاملة وهذه العناصر لا يمكن الوصول بها إلى أعلى الدرجات دون زمن مناسب يتفق مع متواليات حسابية ضرورية ومن هنا كان من الظلم عقد المقارنة ، وإن كانت المقارنة تحسب لصالح المجتمعات الإشتراكية وفق معدلات التنمية التى تمكنت من تحقيقها إذا أخذنا فى الإعتبار حداثة هذه المجتمعات بالإضافة إلى أن الأنظمة الإشتراكية أعطت للإنسان ضمانات حقيقية لحياته من المهد إلى اللحد فى ميادين الضمان الإجتماعى وحق العمل ومجانية التعليم والصحة والثقافة والرعاية فى الشيخوخة وفى الجانب السياسى كان محور الهجوم الزعم آن النظام السياسى الرأسمالى يوفر للمواطنين حريات أساسية (الإنتقال والتعبير) وفى هذا الشأن إرتكبت الأنظمة الإشتراكية أخطاء مروعة تبلغ حد الجريمة عندما عجزت كما قلنا عن توفير الحريات للمواطنين فى شكل أوسع وأشمل من الحريات اللبرالية لقد جعلت هذه الأنظمة من الدولة جهازاً قمعياً لكل من يختلف معها فى الرأى بدلاً أن تحدد بدقة دورها القمعى

وكيف يكون فقط فى مواجهة من يخرجون من إطار المخالفة فى الرأى إلى التآمر الفعلى وبدلاً من أن تجعل هذه الأنظمة قوة الجماهير هى الحامى لدولة الجماهير العاملة والعنصر الفاصل فى كسب المعركة ضد محاولات إعاقة التقدم الإشتراكى ومصالح الوطن الإشتراكى ، أقامت الدول الإشتراكية أجهزة عانت منها الجماهير كثيراً ، وفى ظروف سادت فيها وسائل المعرفة والمعلومات والإتصال والتقدم التكنولوجى عامة .

غير إنه يجب أن نؤكد أن جانباً أساسياً من مأساة النظم الإشتراكية هو التحلل الذى أصاب المناضلين من أجل الإشتراكية ، وسيطرة العناصر والقوى المراجعة والمستسلمة إزاء هجمات الرأسمالية المتواصلة والمتلاحقة ، والعجز عن تقديم شكل سليم ومتطور للديقراطية الإشتراكية فى التطبيق إنها التجريبية وفقدان الفكر النظرى الواضح والإعتماد بدلاً من ذلك على الفوضى الفكرية والتنظيمية وقد أصابت مناحى الحياة الحزبية والدولة ثم بث البلبة والدعوة إلى سيطرة الفكر الإنتهازى (فكر الدولية الثانية) وتقدم الإشتراكيين المراجعين المبهورين بالرأسمالية العالمية وأيدولجيتها دون ذكر لأمراضها وألامها ومآسيها وإستغلالها إن ما أصاب البلدان الإشتراكية من هزيمة وتراجع قد صاحبة إنقلاب فى موقفها من قضايا التحرر ومساندة العالم المتخلف وما يعانيه من مشاكل مستعصية وإننا نشهد فى منطقتنا العربية ما يحدث بالنسبة لقضية جوهرية هى القضية العربية ومأساة الشعب الفلسطينى. وكيف إستدارت هذه البلدان فى مواقفها وكيف سارت نحو تشجيع المخططات الصهيونية على حساب الشعب الفلسطينى والمنطقة العربية بشكل عام إن الصهيونية العالمية بالتعاون مع قادة إسرائيل التوسعين تدبر وتنفذ مخططات عالمية ضد جميع البلدان العربية وهذه المؤامرة تتخذ أشكالاً

متعددة بعضها سياسى وآخر إقتصادى وأخيراً الشكل العسكرى (مزيد من تشريد الشعب الفلسطينى وإضطهاده - هجرة يهودية متدفقة - إستئناس القادة العرب - تخطيط جديد للمنطقة - جنون الحرب من أجل النقط - تبديد للثروات العربية الطبيعية وإستنزافها - إشعال الصراعات الإقليمية - بلقنة المنطقة - أشكال جديدة من القواعد العسكرية والأحلاف المشبوهة . إلخ . إلخ)

إن قوى النضال العربى المشتته لا سبيل أمامها إلا كشف المخطط المروع (مخطط التبعية للإمبرالية العالمية) وذلك بالإتحاد العربى لمواجهته بكافة الوسائل وأولها كشف إتجاهات الإنحياز إلى سياسة التبعية فى الميادين السياسية والإقتصادية والعسكرية .وإن ما أصاب المعسكر الإشتراكى من ضعف كان له أثار واضحة فى الأوضاع السياسية فى البلدان المتخلفة والمستقلة حديثاً ولقد ترتب على ذلك إن القوى الرأسمالية فى البلدان المتخلفة تشعر بأنها لا سند لها عالمياً ، وإنها على إستعداد أكثر للسير على سياسة الخوف من قوة الإمبريالية المتسلطة عالمياً وإنه لا بد من ممالئة تلك القوة الباطشة وبالتالى فهى أقرب إلى قبول سياسة التبعية والنظر إلى المجتمعات التى تحولت إلى نقاط إقتصادية إرتكازية فى عملية تدويل الإنتاج (مثل كوريا جنوبية - تايوان إلخ) بإعتبارها مثالاً بديلاً عن شكل التطور المستقل مع ما فى ذلك من تضحية بمصالح شعوبها وتعريضها لإستغلال قاس. وعلى ذلك فإن شعوب هذه البلاد ليس أمامها إلا النضال من أجل تحقيق تطورها المستقل إعتماداً على حركة الجماهير المطالبة بمكان لها على الأرض للقضاء على ما تعانى منه إستغلال وفقر وجهل ومجاعات وأوبئة وما تعانى فى بلادها من إستنزاف الموارد وأعباء القروض والديون وذلك لن يتحقق إلا بإيتحاد شعوب البلدان النامية كافة وفق شعار .

- وحدة الفقراء فى مواجهة الأغنياء.

- التنمية المستقلة بدلاً من التبعية

- الصمود بدلاً من الإنحناء أمام الإمبريالية

مع التأكيد على أن الطبقة العاملة بحاجة اليوم على الصعيد العالمى إلى المساهمة فى إنشاء دولية عمالية جديدة متحررة فى مواجهة الإمبريالية العالمية المتحدة

وعلى ذلك فإن تسليح الطبقة العاملة المصرية بروح أممية جديدة مسألة هامة وأساسية وإن وحدة الطبقة العاملة المصرية وإستقلاليتها تصبح اليوم المسألة الملحة والضرورية لتحقيق أملها فى وطن حر مستقل

كما أن بروز طليعة هذه الطبقة وحزب له يعتمد على الوضوح الفكرى والنشاط الجماهيري الحى وفق برنامج يتحقق معه قيام حلف يضم العمال والفلاحين والمثقفين الوطنين والفئات البرجوازية التى تسعى إلى وطن متحرر من إغلال التبعية الإقتصادية والسياسية ، حلف يعمل على إقامة ديمقراطية وطنية جديدة تكمل مهام الثورة الديمقراطية وتفتح الباب لوطن إشتراكى متخلص من صنوف التبعية والإستغلال

•

داوود عزيز

القاهرة فى ديسمبر ١٩٩٠

كتابات المصرى الجديد للنشر

يشرف عليها سعد حماد المحامى

صدر لمؤسسة " كتابات المصرى الجديد — الثمن

اولاً - المكتبة السياسية

- فضـــاء الإدارة العليـــا فى الحريـــات وحقـــوق الإنســـان — ٢ جنيه
  إعداد سعد حماد المحامى
- الديمقراطية هى الحل دراسات لمفكرين مصر بين ذوى إنتماءات متعددة مع ملف وثائقى بضم القوانين الغير ديمقراطية (سيئة السمعة) — ٣ جنيه
- الطائفية إلى أين ؟ — ٢ جنيه
  د. فرج فودة د. يونان لبيب رزق أ خليل عبد الكريم
- حرية الفكر والعقيدة تلك هى القضية — ٢ جنيه
  أ أحمد نبيل الهلالى المحامى

ثانياً - المكتبة الثقافية

- على ضفاف الفلتافا د. محمد جوهر — ٢٫٥ جنيه

ثالثاً - المكتبة العمالية

- ملحمة الحديد والصلب بقلم قادة الحركة العمالية (إضراب الحديد والصلب ٨٩) — جنيه واحد

رابعاً - المكتبة الإشتراكية

- تطور الرأسمالية وكفاح الطبقات فى مصر — ٤ جنيه
  للدكتور فؤاد مرسى وتعليق داود عزيز

المراســلات ص ب ١٥١٧ رقم الكود ١١٥١١ القاهـرة .

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
كلمـــة الناشـــــر	٣
تقديـــــــــــم	٥
تطور رأس الماليـة	١٣
البرنامـــــــــج	١١١
التعليـــــــــق	١١٤